الرابطة

السنة 58 العدد: 670 ذو القعدة 1443 هـ. يونيو 2022 م

* اهتمام خاص بقضية الحرية المنضبطة

* لماذا الحاجة إلى القيم المشتركة بين أتباع الأديان؟

تحت مظلة الرابطة

قادة الأديان يصدرون إعلان القيم الإنسانية المشتركة في الرياض

الرابطة

شهرية. علمية. ثقافية. تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة 58 العدد: 670 ذو القعدة 1443 هـ. يونيو 2022 م

ملتقى القيم المشتركة

قد يبدو التحول من مراحل الصدامات المفتعلة إلى آفاق التفاهم والتعاون والتضامن بين القيادات الدينية نقلة صعبة جدًا، بيد أنها نقلة مهمة وضرورية في عالم تتناوشه مخاطر الصراع ونذر الصدام.

إن الوعي بأهمية التواصل والحوار هو ما جعل "ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان" ممكنًا، حيث اجتمعت نخبة من القيادات الدينية البارزة، ونخبة من الشركاء الفاعلين؛ لاتخاذ الخطوات التي تقود إلى مزيد من التعاون بين مختلف الأديان والمعتقدات، وذلك للإسهام في تعزيز سلام عالمنا ووئام مجتمعاته الوطنية.

جاء على رأس أهداف هذا الملتقى: صياغة رؤية مشتركة لترسيخ قيم الوسطية في المجتمعات الإنسانية، وابتكار برامج عملية ومبادرات فعالة لضمان استدامة المهمة الأخلاقية المشتركة.

وتأسيسًا على ذلك ترددت في قاعة الملتقى أصداء كلمات قوية ومعبرة من كافة المشاركين، تؤكد أن كل أزمة يواجهها العالم اليوم، يمكن للقيادات الدينية أن يكون لها دور إسهامي في حلها.

واتفق الجميع على دور إيجابي للقيادات الدينية بوجوب أن تتصدى لقضايا السلام والأزمات والجوع، لأن ذلك من مسؤوليتها، ومن واجبها أيضًا أن تتصدى للهجرة الإجبارية وأزمة التعليم العالمية وأزمة عدم المساواة.

وعلى الجميع مسؤولية نشر وتعزيز التسامح والانفتاح الذهني واحترام الاختلافات وتقدير الآخرين.

وعبَّر غير واحد من القيادات الدينية أن هذا المستوى في الالتقاء بين الأديان كالذي نشاهده اليوم في الرياض غير مسبوق. وهذه اللحظة التاريخية الفارقة تحتم العمل الجماعي والجهد الواعي من النخبة المؤثرة من الحكماء ورواد الخير والإصلاح في عالمنا.

وأن هذا الاجتماع لا يقل أهمية عن الاجتماعات السياسية التي تَعقدها المؤسسات السياسية، كما لا يقل أهمية عن اللقاءات العلمية التي يعقدها الأطباء والخبراء من أجل خير الجميع ونفع الجميع. وكذا المنتديات الاقتصادية التي يحضرها الاقتصاديون ليتباحثوا في شأن تخصصهم لصالحهم وصالح منظومتهم الدولية. وأن كل هذه الملتقيات لن تؤتي ثمارها ما لم تُؤسس على ركائز، من أهمها ركيزة القيم المشتركة التي عُقد لها هذا الملتقى.

وهكذا أثمرت جلسات الحوار وكلمات المشاركين نتائج في غاية الأهمية، منها إطلاق مُنتدًى عالمي باسم: "منتدى الدبلوماسية الدينية لبناء الجسور"؛ وإصدار موسوعة عالمية باسم: "موسوعة القيم الإنسانية المشتركة".

وأيضًا دعوة الجمعية العامَّة للأُمم المُتَّحدة إلى إقرار يوم عالميٍّ للمشتركات الإنسانية، باعتبارها نقطةَ الْتقاء القيم الجامعة المحققة لثمرة الإخاء الإنساني.

الرياض تشهد إصدار:
«إعلان القيم الإنسانية المشتركة»
4

التضليل:
سلاح الإسلاموفوبيا
39

الوجود الإسلامي عمره قرنان
في مملكة بلجيكا
44

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

وكيل الاتصال المؤسسي
أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

المدير العام للتحرير والنشر
أ. شاكر بن صلاح العدواني

رئيس التحرير
د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير
عبدالله باموسى

المراسلات:
مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧
فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩
المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير
البريد الإلكتروني:

mwljournal@themwl.org

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

العدد: ٦٧٠
ذو القعدة ١٤٤٣ هـ - يونيو ٢٠٢٢ م

وفد رفيع يزور المركز الثقافي بمالقا

استقبل الدكتور عبد العزيز سرحان، المستشار الخاص لمعالي الأمين العام، المشرف العام على مكاتب ومراكز الرابطة بأوروبا والأمريكتين، وفدًا يضم عددًا من المشاركين في مؤتمر عن "الثقافات والأديان كمحفز لمنع النزاعات وتعزيز السلام" في مالقا. حضر الاستقبال مدير المركز الثقافي الأندلسي بمالقا السيد حسام خوجة.

وقدم مدير المركز تعريفاً موجزاً للوفد باللغتين العربية والإسبانية عن المركز، وعن أهداف رابطة العالم الإسلامي، وكذلك التعريف بسماحة الدين الإسلامي وارتباطه تاريخياً بالثقافات الأخرى على مرّ العصور، واطلع الوفد على البناء الأندلسي الذي يتميز به مبنى المركز، كما زار المسجد ومدرسة المركز وصالة المحاضرات.

53
أمة اقرأ هكذا صنعت الوعي
المكتبات الإسلامية عبر العصور

59
حث الإسلام على الزراعة ومظاهر
اهتمام المسلمين الأوائل بها

تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي ،، وبحضور قيادات دينية حول العالم

الرياض تشهد إصدار:

«إعلان القيم الإنسانية المشتركة»

الرياض:

اُختتمت أعمال ملتقى: "القيم المشتركة بين أتباع الأديان"، الذي جمع كبار علماء المسلمين وقياداتهم من دول العالم الإسلامي ودول الأقليات الإسلامية في العاصمة الرياض، حيث عقدوا تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي أهمَّ حدثٍ دينيٍّ دوليٍّ استضافوا خلاله الممثلين الرئيسيين لكافة أتباع الأديان، بحضور قيادات دينية وفكرية متنوعة.

وانطلاقاً من المبادئ الدينية المشتركة، واستناداً إلى المواثيق الدولية الداعية إلى تجسيد القيم الإنسانية بروح جادة وصادقة، واستحضاراً للواجب المنوط بالقيادات والرموز والكيانات الدينية وتأثيرها العميق في وجدان الشعوب؛ أصدر الملتقى إعلان "القيم الإنسانية المشتركة"، والذي توافق فيه المشاركون على تأكيد مركزية الدين في كل حضارة نظراً لتأثيره في "صياغة أفكار المجتمعات البشرية"، و"إلهامه الروحي للمؤمنين به"، مشدّدين على ضرورة عدم الخلط بين الدين والممارسات الخاطئة لبعض أتباعه، وعدم توظيف الدين لأي هدف يَخْرُج عن معناه الروحي الإصلاحي.

معالي الشيخ د. محمد العيسى في الجلسة الافتتاحية للملتقى

وأكد المشاركون في الإعلان، حاجة العالم المتزايدة إلى تفعيل الآليات الدولية لحل النزاعات من خلال: "إرادة جادة وعزيمة قوية وتدابير حكيمة"، معتبرين أن لقاءهم الأخويّ فُرصة سانحة للتعبير عن رؤاهم المشتركة، والإسهام بفاعلية في تصحيح المسار الإنساني المعاصر.

واتفقوا على وجوب تفهُّم الخصوصيات الدينية لكل دين أو مذهب، والتعامل معها بصفتها تُمثِّلُ التنوعَ البشري المشمولَ بحِكمة الخالق في الاختلاف.

واستنكروا أطروحات الصدام الحضاري، ومحاولات فرض الهيمنة الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية "بلا استحقاق ولا أخلاقيات"، كما نددوا بـ "الكراهية" و"العنصرية" باعتبارهما أكبر مُحَرِّض على العنف والإرهاب والانقسام.

كما أوصى المشاركون من خلال الإعلان، ببناء تحالف دولي من خلال إرادة: "صادقة وعادلة وفاعلة" لخدمة الإنسانية بكامل حُقُوقها، مع أهمية استذكار القيم المشتركة التي تربط الجميع بعضهم ببعض

قيام الأمانة العامة للملتقى بإعداد تراتيب إصدار: «موسوعة القيم الإنسانية المشتركة»

د. العيسى: هذا الملتقى يُعَبِّر عن إرادة دينية ذات هدف روحي مجردٍ، وليس بين المشاركين من يُقَدِّمُ نفسه ممثلاً لأي أيديولوجية أو سياسة

كل محاولات النيل من الجانب الروحي في التاريخ الإنساني باءت بالفشل

كمنطلق رئيس لهذا البناء الإنساني المهم، والتأكيد على أهمية مراعاة الخصوصيات الدينية والثقافية، وعدم ممارسة أي استعلاء أو إملاءات عليها.

ودعوا إلى قيام المؤسسات الوطنية والأممية المسؤولة بالعمل الجاد على كل ما من شأنه ضمان الحريات في إطار احترام القوانين الدولية والوطنية ذات الصلة، والمحافظة على التماسك الأسري الذي يمثل نواة المجتمع، والعناية بجودة التعليم.

وطالبوا مختلف منصات التأثير؛ وبخاصة الإعلامية، باستشعار الأمانة الأخلاقية الملقاة على عاتقها بوصفها العنصر الأكبر تأثيراً في توجيه الرأي العام، ومناشدة الدُّوَل الوطنية والمجتمع الدولي لبذل كافة السبل لتوفير الحماية الكافية لدُور العبادة، وكفالة حرية الوصول إليها، والمحافظة على دَورها الروحي، والنأي بها عن الصراعات الفكرية والسياسية والمساجلات الطائفية.

كما دعوا المؤسسات الدينية حول العالم إلى تشجيع الخطاب المعتدل ونبذ الخطاب المتطرف الذي يثير الكراهية، مع إدانة كافة الممارسات المتطرفة والعنيفة والإرهابية في حق أتباع الأديان، والدعوة لتجرم النيل من رموزها ومقدساتها، ودعم المبادرات الجادة المناهضة لها.

وأعلن المشاركون، عن إطلاق مُنتدىً عالمي باسم: "منتدى الدبلوماسية الدينية لبناء الجسور"؛ مِنْ مُنطلَق مركزية تأثير الأديان في المجتمعات الإنسانية، وإصدار موسوعة عالمية باسم: "موسوعة القيم الإنسانية المشتركة".

ودعوا الجمعية العامَّة للأُمَم المُتَّحدة إلى إقرار يوم عالميٍّ للمشتركات الإنسانية، باعتبارها نقطةَ التقاء القيم الجامعة المحققة لثمرة الإخاء الإنساني.

وكان معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، أعلن انطلاقة الملتقى بكلمة افتتاحية أكد فيها على سروره بالاجتماع مع نخبةٍ من القيادات الدينية البارزة "حول العالم"، ونُخبةٍ من الشركاء الفاعلين؛ للإسهام في تعزيز سلام عالمنا ووئام مجتمعاته

جانب من أعمال الجلسة الافتتاحية

الوطنيـــة، منوهاً إلى أن أهمَّ ما يُمكـــن أن يلتقي الجميـــعُ حولَهُ لتحقيـــق هذا الهـــدف العالمي الـــذي لا عيش حقيقيـــاً بدونه، هو أن الجميـــع يَنْتمي إلى أصل واحد (تَشَـــكَّلت منه أســـرتنا الإنســـانية) بتنوُّعِها الطبيعي الذي قضـــى اللّه به فـــي هذه الحياة، (سواءً أكان تنوُّعاً دينياً أم إثنياً أم جغرافياً أم غيرَ ذلك).

وقال معاليه، إن "وَحْدة الانتماء في أصل الخلق، مع وجود مشاعرَ ومتطلبـــاتٍ إنســـانية ميـــزت الإنسان عن غيره، شكَّلت قيماً مشـــتركة بين الجميع"، منوهاً إلى أن في مقدمة هذه المشاعر والمتطلبات تأتي القيم الدينية ذاتِ الأثـــر الروحـــي علـــى كثير من المجتمعات حـــولَ العَالَم، ما يرفع أهمية إبراز مُشـــتركَاتها، موضحـــاً أن (غالبَ مُشـــكلات التعايُش بين أفـــراد التنوُّع تعود إلى مفاهيمَ سلبية في التديُّن، حيـــثُ توقفـــت عنـــد الفروق الدينيـــة التـــي تُمثـــل الهويةَ الخاصـــة للأفـــراد والمجتمعـــات، وتجاهلت المشـــتركاتِ الجامعةَ بينهم، وعندما قال نبينا صلى اللّه عليه وسلم إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق قصـــد بها تلك المشـــتركات التي نتحدث عنها اليوم، وعندنا مبدأ قِيَمِيّ وهو أن

دعوة الأمم المتحدة لإقرار يوم عالمي للمشتركات الإنسانية

رفض الخلط بين الدين والممارسات الخاطئة لبعض أتباعه «أياً كان نوعها وحجمها وهدفها»

المُحفزُ الديني في سياق اعتداله عُنصرٌ مهم في تضامن أُسرتنا الإنسانية

للجميع الحق في البحث عن مصالحهم الخاصة لكن وفق القيم التي تدعو إليها المشتركات الدينية والإنسانية

الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها).

وتطرق الدكتور العيسى، إلى إشكالية في عالمنا اليوم وهي غياب أو قصور الدَّور التوعوي للأسرة والتعليم ومنصاتِ التأثير الديني والاجتماعي، معتبراً أنها السبب الأبرز لحالات الكراهية والعنصرية، ومن ثم تصعيد نظرية حتمية الصدام والصراع الحضاري، داعياً في هذا السياق إلى أهمية أن يكون للتعليم حول العالم اهتمامٌ بالمشتركات الإنسانية؛ بوصفها من أهمِّ محفزات القناعة بالرابطة الإنسانية الواحدة، واستيعاب حكمة الخالق في الاختلاف بين المكونات البشرية.

وأكد معاليه أن للجميع الحق في البحث عن مصالحهم الخاصة، لكن بالقيم التي تدعو إليها المشتركات الدينية والإنسانية، وهي التي تضمنت مَعَالِمَهَا الرئيسةَ المواثيقُ والمعاهداتُ والأعرافُ الدولية، مشدداً على أهمية أن يُدرك العالم أنه لا خِيَارَ له سوى خِيَار التفاهُم والتعاوُن والسلام.

وفيما يتعلق بالاعتدال الديني، أكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أنه لم يعد في إمكان أحدٍ اليوم أن يتجاهل مستوى تأثير الاعتدال الدينيّ على التعايُش المجتمعي والسِّلم العالمي، لافتاً إلى أن التاريخ الإنساني يشهد بأن أهمَّ أحداثه كان وراءها محفِّزاتٌ أو شِعَاراتٌ

ذاتُ أهدافٍ دِينيَّة، لكنها خرجت عن منطقة الاعتدال فصار ما صارا!

واعتبر الدكتور العيسى أن كل محاولات النيل من الجانب الروحي في التاريخ الإنساني الحديث باءت بالفشل، منوهاً إلى أن هذه المحاولات الفاشلة متواصلة منذ آلاف السنين، ورغم ذلك بقيت القناعة الروحية مؤثرةً وفاعلةً في النُّفُوسِ والمُجتمعات.

وخلص معاليه مما سبق إلى أن "المُحفز الديني في سياق اعتداله عُنصرٌ مهم في تضامن أُسرتنا الإنسانية، في مواجهة مهدداتها، بل ومهددات كوكبنا، كالأوبئة واستنزاف الموارد، وغياب أو ضعف القيم المشتركة، والتي تبدو اليومَ أكثرَ بروزاً: في الكراهية والعنصرية والانقسام وغيرها، ولنا في رابطة العالم الإسلامي في هذا تجارب دولية ناجحة كان آخرها الإسهام في التوزيع العادل للقاح ضد (كوفيد ١٩)"، مشدداً على أن القادة الدينيين أقوى ما يكونون وهم يتحالفون حول مشتركاتهم "التي تُمثِّلُ قواعدَ بناءِ الجسور بينهم"، فيُسْهِمُون بتحالفهم الفاعل في صناعة مستقبل مزدهر للإنسانية.

وعرج الدكتور العيسى في كلمته على "الدبلوماسية الدينية"، مؤكداً أنها في إطار وعيها الروحي تصنع الفرق في الزمن الصعب، منوهاً إلى أن القوة التي تتمتع بها الدبلوماسية الدينية "المستنيرة" هي القوة الناعمة التي تخاطب العقول والقلوب معاً، بنيات صادقة.

وأبدى معاليه أمله في أن يتوافق حضور هذا الملتقى، وهم الشخصيات الفاعلة والمؤثرة "دينياً وفكرياً"، على إصدار: "موسوعة عالمية للقيم الإنسانية المشتركة"، لتصبح كالدُّستور الإنساني الجامع بمفهومٍ روحي مشترك.

واستدرك معاليه بالتأكيد على أن كلّ ما سبق من حديث "المشتركات" ينسجم تماماً ولا يتعارض أبداً مع أهمية المحافظة على الخصوصية الدينية والثقافية.

وختم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي كلمته، بالقول: "إن هذا الملتقى يُعَبِّر عن إرادة دينية ذات هدف روحي مجردٍ "بعيدٍ كلَّ البعد" عن أي دَلالة لا تتوافقُ مع هذا المقصَدِ الرُّوحي"، مضيفاً في هذا السياق "ولن ننظر لمتجاهل أو منكرٍ لضرورة التفاهُم والتعايُش بين أتباع الأديان، وواجب الاحترام المتبادَلِ بينهم، وحقِّهم جميعاً في الوجود بكرامة، كما لن نَنْظُرَ "جميعاً" لأيِّ تأويل خاطئ أو متعمَّد، يسعى للنيل من المقصَدِ الإنساني النبيل والمجرد لتوافق أتباع الأديان واحترامِهم لبعض "كأتباع أديان"، يتشاركون الوجود والمسؤولية من أجل سلام عالمنا وانسجام مجتمعاته، مع عدم التفريط في أيِّ حقٍّ مشروع أياً كان"، مؤكداً أن "الملتقى يتميز بأنه ليس بين المشاركين فيه من يُقَدِّمُ نفسه في هذه القاعة كممثل لأَيِّ أيديولوجية، ولا أي سياسة، أياً كانت، وجميعهم جاؤوا من بُلدانٍ شقيقة وصديقة، تربطُنا بهم في عالَمِنا الإسلامي علاقات وطيدة".

من جهته أوضح معالي رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، رئيس منتدى تعزيز السلم للمجتمعات المسلمة، الشيخ عبدالله بن بيه، أن هذا الملتقى يمثل خطوة جديدة في مسار العمل الديني المشترك، حيث تجتمع الأديان المتنوعة لتجسّد اتفاقها في القيم الكونية، قيم السلام والتضامن والعدالة، وتبحث عن سبل تنزيل ذلك من خلال المبادرات العملية.

بينما ثمّن سماحة مفتي الديار المصرية، الشيخ الدكتور شوقي علام، جهود رابطة العالم الإسلامي في الإعداد والترتيب لهذا المحفل الكبير "لنجتمع معًا على كلمة سواء، وأجندة مشتركة بما فيه الصالح للبلاد والعباد".

وأوضح أن عمارة الأرض والانتفاع بخيراتها لا يمكن أن يتحققا لو كانت العلاقة بين أهل الأديان هي التنافر والبغضاء، فلا يمكن أن يحثنا الله على عمارة الأرض إلا وهو يحثنا على المحبة وإرادة الخير للجميع دون استثناء.

من جهته أكد البطريرك المسكوني بارثولوميوس، بطريرك الروم الأرثوذكس، أن "أفضل الطرق للوصول إلى السلام هو الحوار الديني الصادق"، مؤكداً رفضه التام لنظرية "الصراع الحتمي" بين الحضارات.

وأشار إلى أن التعاون أساسي لعالَم مستدام، وأن الانفتاح على الآخر "لا يهدد هويتنا بل يعززها أكثر وأكثر"، موضحاً أن التراث الديني "مصدر إلهام للبشرية ويحتوي على احتياط كبير لصناعة السلام".

وأضاف: "بما أن مستقبلنا مشترك فنحن بحاجة إلى مسؤولية مشتركة وجهد مشترك"، مُعبّراً عن أمله في

الشيخ بن بيه: الملتقى يمثل خطوة جديدة في مسار العمل الديني المشترك

إنشاء سلام عادل في ظل الأحداث الحاسمة التي يمر بها العالم اليوم.

وأوضح السيد والتر كيم، رئيس الاتحاد الوطني للإنجيليين في الولايات المتحدة الأمريكية، أننا في مناسبة تاريخية تدعو للتفاؤل بالمستقبل الذي يحمل فرصة للسلام وبناء الجسور، مؤكداً ضرورة أن تبذل المجتمعات الدينية ما في وسعها لإنهاء الفقر بعد ما مررنا به من أزمة خلال جائحة كورونا.

من جانبه تطرق معالي الشيخ إدريس بن أحمد وزير الشؤون الإسلامية بماليزيا، إلى أهمية تفعيل فقه التعايش والتسامح، مؤكدا أن جميع الزعماء الدينيين ملزمون بتثقيف بعضهم.

فيما أبدى معالي رئيس المجلس الأعلى وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف السابق في الجزائر،

الأستاذ بوعبدالله محمد غلام الله، أمله في أن يتصدى القادة الدينيون للتعصب، وأن يندد بجميع مظاهر الكراهية، مؤكداً أن التسامح خلق عظيم، والعفو إحدى صفات الخالق سبحانه وتعالى، وكل إنسان هو أخ للآخر في الدين أو العرق أو الوطن أو الإنسانية، مشيراً إلى أن الكلمة التي ألقاها معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس هيئة علماء المسلمين تمثل ورقة عمل محورية في موضوع الملتقى، وأنه لا بد من تبنيها لتكون خارطة طريق نحو الهدف الذي اجتمعنا من أجله.

بدوره قال كبير الحاخامات في إيطاليا - مجمع الحاخامات الأوروبيين، السيد ريكاردو ديزيجني، إن دور الدين يجب أن يكون إيجابياً لنشر السلام، مشيداً بالجهد الذي يقوم به معالي الشيخ محمد بن عبد الكريم العيسى في نشر السلام والتسامح بين أتباع الأديان، مؤكدا "أننا سنرى بعد سنوات كيف ستنمو هذه البذور على كوكب الأرض".

الدكتور علّام: عمارة الأرض لا يمكن أن تتحقق لو كانت العلاقة بين أهل الأديان هي التنافر والبغضاء

لم يعد في إمكان أحدٍ اليوم تجاهل مستوى تأثير الاعتدال الدينيّ على التعايُش المجتمعي والسِّلم العالمي

وفي كلمته في الملتقى قال لما هاماندليشوار سوامي فاديسان، رئيس الإدارة الدينية للهندوس: "إنه يمكن للحوار أن ينجح فيما فشلت فيه الحروب، لذا فإنني أفتخر أن أكون أحد المشاركين في هذا المنتدى الذي تنظمه رابطة العالم الإسلامي، بقيادة داعية السلام والإسلام، معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى".

في حين أكد باناجالا أوباتيسا ثيرو، المسؤول البوذي في سريلانكا واليابان، أن الكراهية لا تقتلها الكراهية، بل تقتلها المحبة، ولهذا فإن كل دين يدعو إلى تجنب العنف بكل أشكاله اللفظية والفعلية.

وقال معالي الأمين العام لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، عضو المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي، الشيخ الدكتور فهد بن سعد الماجد: "إن هذا الاجتماع الذي نحضره اليوم من التعارف الفكري، الذي

لا يقل أهمية عن الاجتماعات السياسية التي تَعقدها المؤسسات السياسية من أجل بناء الجسور للسلام وخدمة الإنسانية، كما لا يقل أهمية عن اللقاءات العلمية التي يعقدها الأطباء والخبراء من أجل خير الجميع، ونفع الجميع، وكذا التعارفات الاقتصادية التي يحضرها الاقتصاديون ليتباحثوا في شأن تخصصهم لصالحهم وصالح منظومتهم الدولية"، موضحاً أن كل هذه التعارفات يجمعها أنها من التعارف الإنساني الذي لن يُؤتي ثماره ولن يتقدم ما لم يُؤسَّس على ركائز، من أهمها ركيزة القيم المشتركة التي عُقد لها هذا الملتقى.

ونقل سماحة مفتي جمهورية أذربيجان، رئيس إدارة مسلمي القوقاز، الدكتور الله شكر باشازاده، تحيات فخامة رئيس جمهورية أذربيجان السيد إلهام علييف للحاضرين في المؤتمر. وأوضح أن دعوات الكراهية المؤدية إلى الاعتداء والعنف أصبحت اليوم تهديداً للبشرية، مؤكداً أن الخطر يكمن في تسييس الدين،

بطريرك الروم الأرثوذكس: بما أن مستقبلنا مشترك فنحن بحاجة إلى مسؤولية مشتركة وجهد مشترك

أمين السر ورئيس الوزراء لدولة الفاتيكان الكاردينال بارولين: الوسطية هي تعبيرٌ عن الحكمة والرَّشَد وهي ضبط النفس وتجنب التطرف

وخطاب الكراهية.

ووصف رئيس وزراء وأمين سر دولة الفاتيكان، الكاردينال بيترو بارولين، مؤتمر "القيم المشتركة بين أتباع الأديان" بـ "التاريخي الإيجابي"، مؤكداً أن الحوار

تضمن الملتقى أوراق عمل ومداخلات وحوارات أثمرت كثيراً من المبادرات والبرامج المقترحة

الحقيقي بين الأديان هو الذي يركز على المشتركات بدون إغفال الاختلافات، منوّهاً بضرورة حماية النشء من تأثير خطاب الكراهية المؤدي إلى التطرف.

وقال رئيس الإدارة الروحية

رئيس الاتحاد الوطني للإنجيليين في أمريكا: نحن في مناسبة تاريخية تدعو للتفاؤل بالمستقبل الذي يحمل فرص السلام بين الجميع

حديث جانبي بين سماحة العلامة عبدالله بن بيه وسماحة مفتي الديار المصرية

رئيس الإدارة الدينية للهندوس: يمكن للحوار أن ينجح فيما فشلت فيه الحروب.. وأفخر أن أكون أحد المشاركين في هذا المنتدى

السيد ريكاردو ديزيجني: دور الدين يجب أن يكون إيجابياً لنشر السلام

وزير الشؤون الإسلامية الماليزي يدعو إلى تفعيل فقه التعايش والتسامح

لمسلمي كازاخستان، المفتي الأعلى لجمهورية كازاخستان، سماحة المفتي نوريزباي تاجانولي أوتبينوف: "إننا هنا جميعاً نمثل الأديان، واجتمعنا بكلمة واحدة هي السلام بين الأديان، فكلنا من آدم وآدم من تراب"، مثمناً سماحته جهود معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في نشر السلام والاعتدال بين الأديان.

في حين قال معالي وزير الشؤون الإسلامية وشؤون الأديان في باكستان، الشيخ مفتي عبدالشكور: "إننا نعيش في عالم مضطرب مليء بالتحديات الجسيمة، ويتوجب علينا العمل من أجل الحق والعدل، ونبذ الظلم والظالمين، لنتمكن من نصرة الحق".

ثم استُؤنفت الجلسة الرئيسية بعد استراحة قصيرة، والتي ركزت على استكمال كلمات عدد من قيادات دور الإفتاء، ورؤساء ووزراء الأجهزة الإسلامية والجامع والهيئات الفقهية والإفتائية، وعدد من القيادات الدينية غير الإسلامية.

ثم توالت جلسات الملتقى، والتي اشتملت على أوراق عمل ومداخلات عدد من المشاركين، متضمنة كثيراً من المبادرات والبرامج المقترحة. وخلص الملتقى إلى إعلان بنود مشروع القيم الإنسانية المشتركة على ضوء ما دار فيه من كلمات ومداخلات ومبادرات وحوارات وبرامج مقترحة.

وقد شكَّل الحضور الإسلامي غالبية حضور هذا الملتقى، حيث حضره طليعة متميزة من كبار علماء المسلمين من عموم الدول الإسلامية ودول الأقليات، الذين نوهوا بشكل كبير بفكرة هذا الملتقى، واعتبروه إضافة مهمة للوعي الإسلامي في عالم متغير يتطلب مثل هذا الوعي، وعلى الخصوص في مواجهة الحملات المتتالية التي يقودها الجهل والتطرف ضد الإسلام، محاولاً تشويه سمعة الدين الإسلامي، ومستغلاً الفراغ السابق من مثل هذا الملتقى النوعي مكاناً ومظلة وحضوراً وتنوعاً وتنظيماً ومخرجات.

مفتي جمهورية أذربيجان: دعوات الكراهية المؤدية إلى الاعتداء والعنف أصبحت اليوم تهديداً للبشرية

البيان الختامي الصادر عن ملتقى

القيم المشتركة بين اتباع الأديان

بدعوة من رابطة العالم الإسلامي؛ التقَتْ إرادةُ القيادات الدينية العالمية، مع نخبةٍ من كبار الشخصيات والمنظمات والمؤسسات ذات الاهتمام والتأثير حول العالم بـ"عزائمهم الصادقة" نحو تعزيز: "وئام عالمنا" و"سلام مجتمعاته الوطنية"، اجتمعوا في أجواءٍ مُفعمةٍ بالمَحَبّة والتفاهُم في مُلتقَى: (القيم المُشتركة بين أتباع الأديان) بمدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية أرض الإشعاع الحضاري، وذلك يوم الأربعاء العاشر من شهر شوال عام ١٤٤٣هـ الموافق للحادي عشر من شهر مايو عام ٢٠٢٢م؛ سعياً إلى تحقيق توافُقٍ عالميٍّ ضمنَ رُؤيةٍ حضاريةٍ مشتركةٍ، تعزِّز التعاون والثقة بين المكونات الروحية الفاعلة عالميًّا، وتَستثمرُ مشتركاتها المتعددة بوصفها في طليعة مبادئ القيم الإنسانية المشتركة، وتبُثّ روح الاعتدال والوئام، وتدعم بفاعلية جهود التسامح والسلام، وتضع الأُطُر الفكرية الرشيدة للتحصين من مخاطر الفكر والسلوك المتطرف أيًّا كان مصدرها.

واستعرض المشاركون في الملتقى الأحداث والتطورات العالمية المتلاحقة، وأكدوا حاجة عالمنا المتزايدة إلى تفعيل الآليات الدولية لحل النزاعات من خلال: "إرادة جادة وعزيمة قوية وتدابير حكيمة"، مع أهمية أن يستذكر الجميع تجارب التاريخ ويستفيد من عظاته، ومن ثم الحذر من تكرار مآسيه وكوارثه المؤلمة؛ وهو ما يضع كافة الجهات المعنية في عالمنا أمام المسؤولية الدينية والوطنية والدولية والإنسانية.

ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان
Forum on Common Values among Religious Followers

واعتبرَ المُشاركون لقاءَهُم الأخويّ فُرصةً سانحة للتعبير عن رؤاهم المشتركة والإسهام بفاعلية في تصحيح المسار الإنساني المعاصر بتحريره من طوفان: "الأنانية والمادية والاستعلاء"، والارتقاء إلى ساحة التضامن والتنافس في الخير والعطاء لإسعاد الإنسان وإعمار الأرض، انطلاقاً من قيم المحبة والسماحة والتسامح التي تَعُمر النفوس المؤمنة، والإنسانية الحقَّة، مع احترام حق الجميع بكل عدالة.

وانطلاقاً من المبادئ الدينية المشتركة؛ واستناداً إلى المواثيق الدولية الداعية إلى تجسيد القيم الإنسانية بروح جادة وصادقة؛ واستحضاراً للواجب المنوط بالقيادات والرموز والكيانات الدينية، وتأثيرها العميق في وجدان الشعوب؛ أثمرت جهود هذه النخبة

المشاركة في جلسات الملتقى جملةً من التأكيدات المهمّة والتوصيات الطموحة؛ المعبّرة عن قيمها الروحية المشتركة بأهدافها الإنسانية الداعية إلى خير الجميع.

وقد توافقوا على ما يلي:

- التأكيد على مركزية الدين في كل حضارة باعتبار تأثيره في "صياغة أفكار المجتمعات البشرية"، و"إلهامه الروحي للمؤمنين به".

- التأكيد على عدم الخلط بين الدين والممارسات الخاطئة لبعض أتباعه، (أيًّا كان نوعها وهدفها وحجمها)، وأنه من الظلم لأتباع أي دين تحميلهم تبعات تلك الممارسات المعزولة.

- التأكيد على عدم توظيف الدين لأي هدف يَخْرُج عن معناه الروحي الإصلاحي، وما يحمله من قيم خاصة تتعلق بتعاليمه التي يؤمن بها أتباعه، أو قيم عامة تَمَثّلُ "مشتركاً دينيًّا مع الغير"، أو "مشتركاً إنسانيًّا عامًّا".

- وجوب تفهُّم الخصوصيات الدينية لكل دين أو مذهب، والتعامل معها بصفتها تُمَثّلُ التنوعَ البشري المشمولَ بحكمة الخالق في الاختلاف، "ولكلٍّ قناعتُه وإيمانُه الذي يَدين الله به، ويُوصله للآخرين بحكمة الحوار"، كما يجب احترام أتباع الأديان والثقافات حيث كرَّمهم الخالق سبحانه باعتبارهم شركاءَ في الإنسانية (وما يجب من إخائها الفاعل والمثمر).

- البشر على اختلاف مكوناتهم وانتماءاتهم يرجعون إلى أصل واحد، وهم متساوون في إنسانيتهم، ومشمولون جميعاً بالتكريم والنداء الإلهي؛ بما يقتضيه من إشاعة المحبة والرحمة والسماحة والتسامح، ومدّ جُسُور الحِوَار والتعاوُن من أجل خَيْر الجَميع، ولاسيما التحفيز نحو مبادرات السلام الجادة والعملية بتعاون إنساني صادق وحكيم، كل ذلك تحت مظلة "أسرتنا الإنسانية الواحدة".

- الحِوَارُ الفعَّال سلوكٌ حضاريٌّ، قررته الأديان بوصفه السبيلَ الأمثلَ لحل النزاعات، وترشيد الخلافات، وإزالة المخاوف والأفكار الخاطئة، ومعالجة الأحكام المسبقة، ومن ذلك تفكيك نظرية حتمية الصدام الحضاري، وصولاً إلى تعزيز الثقة وتمكين المحبة وإرساء التعاون بين الجميع.

- التعايُشُ ضرورةٌ حياتية تقوم على الاعتراف بوَحْدَة الأُسرة البشرية، وما يتطلبه معناها المجرد من أهمية تعزيز الإخاء الإنساني بأثرٍ ملموس، في مواجهة الخوف من الآخر والأنانية، وعموم أشكال دعوات الكراهية والفُرقة والعنف.

- واقع التنوع الإنساني وحتمية الخلاف يستوجب التحلّي بالسماحة والتسامح والقبول بالتعددية، وصونَ الكرامة الإنسانية باحترام الآخر وجوداً وحضارة، مع ضرورة تجاوز العداوات التي تتولد عن التباعُد، وتنمو بسبب الخَوف من الآخر والجهل به "من جهةٍ"، وظلمه والاستعلاء عليه من "جهةٍ أخرى".

- الإخاء الإنساني "الفعَّال والمثمر" هو الخيار الأول لسلام ووئام وجودنا البشري؛ بوصفه من أهم التحصينات في مواجهة التحديات التي تواجه أُسْرَتَنا الإنسانية، متى كان هذا الإخاءُ متجاوزاً المفهومَ المجرد لمعنى الأخوة، إلى المعنى المُوصِل إلى "سلام عالمنا ووئام مجتمعاته الوطنية بدافع ينبع من القناعة الوجدانية"؛ فالإنسان أخو الإنسان بمقتضى الخَلق "شاء أم أبى"، وهو مطالَبٌ بتحقيق المعاني السامية لهذه الأخوة.

- يتفقُ أتباعُ الأديان والثقافات على أنَّ الحريات "المنضبطة باحترام النظام العام" حقٌّ إنساني، قرّرته الشرائع الدينية، والمواثيق الدولية، وكفلته الدساتير الوطنية، فليس لأحد أن يَسْلُبَ الإنسانَ حُريته المشروعة.

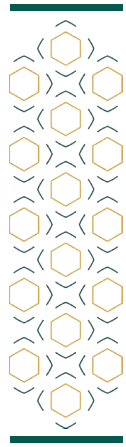

- حقوق الإنسان قيمةٌ مَركزيةٌ مستقرة في الوجدان السوي للبشرية، لا تَقبل التمييز ولا المحاباة لدين أو جنس أو لون أو أي هوية أخرى، تُرسيها التعاليم الدينية، وتُجَرِّمُ انتهاكها القوانين الدولية.

- أطروحات الصدام الحضاري، ومحاولات فرض الهيمنة الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية "بلا استحقاق ولا أخلاقيات"، مَظهرٌ من مظاهر التطرف والاستكبار، وتجسيدٌ للعنصرية المحكومة بعُقدة الاستعلاء، مع الجهل بقدرة الخالق على الجميع التي تتجلى في عظات التاريخ الإنساني. فالتفوقُ الحقيقي "أيًّا كان نوعه" هو مَنْ يَفرض نفسه "تلقائيًّا" بقوته الناعمة "الأخلاقية" التي تبدو بوضُوح في الأثر الملموس للإرادة الصادقة والنبيلة نحو الإنسان.

- تحالفُ الحَضَارات وتكامُلُها هو الأنموذجُ الأفضلُ لتخليص عالمنا من مخاطر صدامها، وكافةِ الأفكار السلبية ذات الصلة بها، وبخاصة سياسات التحيُّز الخاطئ والإقصاء الكاره والعُنصري.

- الحوار والتقارب الفعَّال "بنيّاته الحسنة وأثره الملموس في مد جسور التفاهم والتعاون" هو السبيل الأمثل لمعالجة أفكار التطرف والتطرف المضاد.

كما أنه السبيل الأمثل لتجاوز تأثير التصورات السلبية المتأثرة برواسب العداوات التاريخية التي صنعتها المجازفات البشرية، وساعدت عليها الأخطاء الفادحة بتعميم الأحكام على الجميع.

- "الكراهية" و"العنصرية" شعور عدواني يُعَبِّرُ عن خلل كبير في المفاهيم الدينية والوطنية والحضارية، وهما أكبر مُحَرِّض على العنف والإرهاب والانقسام، كما أنهما في مقدمة أسباب النيل من تماسك المنظومة الأخلاقية الإنسانية.

- العلاقة بين الشرق والغرب رصيدٌ تاريخي عميق، وحضور واقعي متجدد، لطالما أسهمَت في ازدهار الحضارة الإنسانية من خلال الانفتاح "الإيجابي"، والثقة المتبادلة، والحِوَار "الفعَّال"، والقناعةِ التامة بحاجة كل حضارة إلى الأخرى، وتفهُّم خصوصيات كلِّ حضارة وحقها في الوجود دون الإساءة لأتباعها لا بكراهيةٍ، ولا إساءةِ ظنون، ولا تصعيد لنظريات المؤامرة، ولا تعميم لأخطاء أو مجازفات الآراء والتحليلات، أو التصرفات الفردية أو المؤسسية التي تمثل كياناتها وحدها، مع أهمية أن يُدرك عالمنا بأن "المنطق السليم" و"عظات التاريخ" تفرض على الجميع الوعي بأن التفوق "أيًّا كان نوعه" تحكمه بإذن الله سُنَن الخالق الكونية، وأسبابها الطبيعية في سياقها الأخلاقي العادل.

النتائج والتوصيات:

- دعوة الضمير العالمي الحي إلى "تعزيز" بناء تحالف دولي من خلال إرادة: "صادقة وعادلة وفاعلة" لخدمة الإنسانية بكامِل حُقُوقها، مع أهمية استذكار القيم المشتركة التي تربط الجميع بعضهم ببعض كمنطلق رئيس لهذا البناء الإنساني المهم.

- على جميع المكونات الإنسانية الاعتراف بواقعية تعدد الحضارات وعلاقاتها التكاملية، وتنوع الثقافات وتفاعلاتها الاجتماعية، وأنها جاءت نتيجة جهود متراكمة أبدعَتها تجارب الأمم وإنجازاتها المغنية للمسيرة الإنسانية، مع أهمية استثمار التنوع البشري كمصدر إثراء، و"الإيمان الحقيقي بأن الوحدة في التنوع الذي يتم من خلاله تبادل الثقة والمحبة والتعاون".

كل هذا مع التأكيد على أهمية مراعاة الخصوصيات الدينية والثقافية، وعدم ممارسة أي استعلاء أو إملاءات عليها، وهذا في مقدمة مفاهيم حقوق الإنسان التي يتعين على الأمم والشعوب بمختلف ثقافاتها ومؤسساتها حول العالم، أن تتفهمها

وتحترم حقها في الوجود بوصفها حقًّا إنسانيًّا.

- قيام المؤسسات الوطنية والأمنية المسؤولة بالعمل الجاد على كل ما من شأنه ضمان الحريات في إطار احترام القوانين الدولية والوطنية ذات الصلة، وعدم إثارة الوجدان المجتمعي بما يفضي إلى إشعال العداء والانقسام، وينال من وحدته الوطنية بأي من الممارسات الارتجالية أو العدائية، ومن ذلك تعمد تمرير المعلومات المضلِّلة والكاذبة.

- دعوة المجتمعات الوطنية والمنظمات الأممية إلى التصدي لكافة صور وأساليب التمييز والإقصاء ضد "الأقليات الدينية والثقافية والإثنية"؛ والعمل على إيجاد تشريعات قوية وفاعلة تعزز من قيم المحبة والسماحة والتسامح وتقبل الآخر "أخاً في الوطن والإنسانية بأثرهما الفاعل والمثمر".

- دعوة المجتمعات الوطنية والأممية إلى المحافظة على التماسك الأسري الذي يمثل نواة المجتمع، والعناية بجودة التعليم لتصوغ هذه الأدوات المهمة عقول النشء صياغة سليمة.

- دعوة مختلف منصات التأثير؛ وبخاصة الإعلامية، إلى استشعار الأمانة الأخلاقية الملقاة على عاتقها بوصفها العنصر الأكبر تأثيراً في توجيه الرأي العام، ويُذَكِّرُ المجتمعون العالم بعظات التاريخ في كل من أراد بالآخرين شرًّا تحت أي ذريعة.

- مناشدة الدُّوَل الوطنية والمجتمع الدولي لبذل كافة السبل لتوفير الحماية الكافية لدُور العبادة، وكفالة حرية الوصول إليها، والمحافظة على دَورها الروحي، والنأي بها عن الصراعات الفكرية والسياسية والمساجلات الطائفية.

- دعوة المؤسسات الدينية حول العالم إلى تشجيع الخطاب المعتدل الذي يُبرز السماحة والتسامح الديني وأثرهما في تعزيز أواصر التضامن والتآخي بين المجتمعات الإنسانية، ونبذ الخطاب المتطرف الذي يثير الكراهية، ويُوَظّف الدين في افتعال الأزمات وتأجيج الصراعات.

- إدانة كافة الممارسات المتطرفة والعنيفة والإرهابية في حق أتباع الأديان، والدعوة إلى تجريم النيل من رموزها ومقدساتها، ودعم المبادرات الجادة المناهضة لها.

- إطلاقُ مُنتدىً عالمي باسم: "منتدى الدبلوماسية الدينية لبناء الجسور"؛ مِنْ مُنطلَق مركزية تأثير الأديان في المجتمعات الإنسانية، وأهمية قيام أتباعها بواجبهم نحو تجسير العلاقة بين مختلف أتباع الأديان والثقافات لتعزيز تحالفها الديني والحضاري بما يتجاوز المفهوم المجرد للحوار، ويُعْهَدُ إلى الأمانة العامة لهذا الملتقى بوضع الترتيبات اللازمة لإطلاق المنتدى.

- العمل على إصدار موسوعة عالمية باسم: "موسوعة القيم الإنسانية المشتركة"، ويُعهد إلى الأمانة العامة لهذا الملتقى بوضع الترتيبات اللازمة لإعدادها، واختيار كُتَّابها، وتحكيمها من قبل عدد من الشخصيات والمؤسسات الدينية والفكرية والثقافية والأكاديمية ذات الاختصاص، ومن ثم إطلاقها عالميًّا.

- دعوةُ الجمعية العامَّة للأُمَم المُتَّحدة إلى إقرار يوم عالميٍّ للمشتركات الإنسانية، باعتبارها نقطةَ التقاءِ القيم الجامعة المحققة لثمرة الإخاء الإنساني؛ لتَبْنِيَ تلك المشتركاتُ جُسُوراً بين مُختلفِ أتباع الأديان والثقافات؛ في مواجهة المفاهيم والممارسات السَّلبيَّة التي تجعلُ من الاختلاف الطبيعيّ بين البَشَر أسواراً حاجزة تحُول دُون تعارُفِها وتحاوُرها وتعاوُنِها واحترامِ كُلٍّ منها للآخَر وحقِّه في الوجُود بكرامَةٍ.

صَدَرَ فِي الرِّيَاضِ
يوم الأربعاء العاشر من شوال عام ١٤٤٣هـ
الموافق للحادي عشر من مايو عام ٢٠٢٢ م

في ملتقى القيادات الدينية

اهتمام خاص بقضية الحرية المنضبطة

بقلم: عبدالله عامر الشهري
عضو جمعية الاقتصاد السعودية

انتهى ملتقى القيادات الدينية المنعقد بالرياض يوم العاشر من شهر شوال إلى نتائج مهمة وتوصيات؛ منها الاتفاق على أن الحريات المنضبطة باحترام النظام العام حق إنساني قررته الشرائع والمواثيق، وكفلته الدساتير الوطنية.

ولما كان ضمن اهتمام الملتقى البحث في القيم المشتركة، فإن قيمة الحرية، من الموضوعات التي استأثرت بقسط من كلمات المشاركين، في مسعى منهم للاتفاق على فهم مشترك للتحديات المحيطة ومن ثم اقتراح المشتركات الملائمة التي تعالج المشكلات والتحديات.

ولعل تكرار حوادث الاعتداء والحملات المتبادلة القائمة على الكراهية والعنصرية في الآونة الأخيرة، مما يدفع إلى مناقشة قضايا الحرية والمطالبة بوضعها في إطار المسؤولية.

لقد شهدنا الاعتداء على دور العبادة والمدارس في بعض البلدان بدعوى الحرية، ورأينا صعود الأحزاب المتطرفة التي تروج ازدواجية في ممارسة الحرية، وأن لها الحق في ممارسة الحرية وأحقية كل شخص في طرح الأفكار والتعبير عنها حتى المتطرفة منها، واعتبار ذلك حرية شخصية وعدم المساس بها.

وآخر هذه الحوادث دعوة أحد المتطرفين في السويد إلى حرق المصحف الشريف في منطقة ذات غالبية مسلمة في رمضان في مشهد مستفز، الأمر الذي دفع للتساؤل عن هذه الحرية غير المنضبطة التي

تغذي التطـــرف والإرهاب، وكما نعلـــم فإن الإرهاب والتطرف وجهان لعملة واحدة.

إن حرية التعبير من أكثر الموضوعات التي تتفاخر بها المجتمعات، ولكن يُثار الجدل حول وضع ضوابط للحرية، أو تركها دون أية ضوابط تكبح لجام هذه الحرية بحيث تصبح حرية مطلقة.

ويرى البعض أن إعطاء مســـاحة واســـعة في حرية الرأي هي الحل الأنجع لمواجهة الفكر المتطرف، حيث إن البيئة المنغلقة التي لا تتقبل الرأي الآخر أكثر عرضة لوجود الإقصاء، ومن ثـــم التطرف والإرهاب. والحق أن القضية تحتاج إلى ميزان دقيق ونظرة أعمق.

ماذا لـــو أن هذه الحرية غير المنضبطة تتســـبب في زعزعة الاستقرار على نحو ما حدث أخيرًا في السويد، عندما قام أحد المتطرفين بذلك العمل المقيت الذي استفز المشاعر في الشهر الفضيل؟

لا شـــك أن ثـــورة الاتصالات والتواصـــل الاجتماعي أسهمت بشـــكل مباشر أو غير مباشـــر في تنامي ظاهرة شيوع الكراهية والتعصب الديني، لدرجة أن أحد أشـــهر مرتكبي حوادث الاعتداء على المسلمين كان يحمل كاميرا تصوير للبث المباشـــر لجريمته؛ وهي الجريمة المروعة في نيوزيلندا في شـــهر مارس من عام ٢٠١٩ التي رآها الناس على الهواء.

وتدل الإحصائيات الحديثة على حالات الاعتداء بسبب الكراهية على الجاليات المسلمة في أكثر من دولة، إذ تســـتمر حملات التحريض من خلال استغلال منابر التواصل الاجتماعي، وكل ذلـــك انطلاقاً من قوانين الحرية غير المنضبطة.

ومن اللافت فـــي الآونة الأخيرة أن اثنـــين من زعماء الغرب أشـــارا إلى هذه الناحية المهمـــة، وصار هناك صدى لما قالاه.

فهـــذا الرئيس المنتخب لفرنســـا خاطب شـــعبه في خطابه الســـنوي للعام الجديـــد، فانتقد بقوة منصات الإنترنت والمؤثرين "الإنفلونســـرز"، وأيضا المواطنين الذين ينخرطون في نقاش عام. وقال إنه لا بد أن يخضع الجميع لإطار من المسؤولية لم يتم وضعه بعد.

وجاءت تصريحات ماكرون بعد تســـلمه تقريرا يضع الخطـــوط العريضة لمكافحـــة التضليـــل الإخباري ونظريات المؤامرة على الإنترنت.

وكان ماكـــرون قد كلف في نهاية ســـبتمبر الماضي مجموعة من الباحثين وعلماء الاجتماع والأكاديميين والصحفيـــين والمؤرخين بالعمل علـــى هذا الأمر، في مهمة حملت اسم "التنوير في العصر الإلكتروني" على غرار حركة التنوير الفلســـفية في فرنسا خلال القرن الثامن عشر. وقال ماكرون: إن عملية مكافحة الأخبـــار الكاذبة مع حماية دقـــة المعلومات، يجب أن تحدث على مستوى الاتحاد الأوروبي، وتذهب إلى حدود أبعد من مجرد الانتباه لها في أوقات الانتخابات.

وهذه إشـــارة غاية فـــي الأهمية عند مناقشـــة دور الإعلام في نشـــر الوعي عن طريـــق بث المحتويات عبر وســـائل التواصل الاجتماعي أو ما يُقدم في التلفاز، فالمسؤولية التي أشار إليها ماكرون تستدعي حمل وســـائل التواصل على الإيجابية ونشر قيم السلام والطمأنينـــة لا مجـــرد مكافحة خطـــاب الكراهية والعنصرية، ولا سيما أن الدساتير تنص على المساواة والعدالة وضمان حقوق الإنسان.

ونرى كيف أن الرئيس الأمريكي الأسبق أوباما خاطب طلاب جامعة استانفورد في كاليفورنيا في ٢١ أبريل ٢٠٢١، في شأن هام هو التأثير السلبي لاستخدامات الإنترنت على الديمقراطية في أمريكا والعالم.

وصـــوَّب أوباما خطابه كله للتنبيـــه إلى خطورة بث ونشـــر وتوزيع الأخبار المضللة عمداً لأغراض معلومة للفاعلـــين لغايات سياســـية أو أيديولوجية، دينية أو عرقية أو لمجرد إثارة البلبلة والقلاقل. وهناك المعلومات الخاطئة غير الصحيحة تنتقل دون قصد سيئ لكنها تلحق أضراراً مماثلة حين تنتشـــر كالنار في الهشيم بمجرد التصوير واللصق.

وكما رأينـــا فإن موضوع الحرية غيـــر المنضبطة يعد هاجســـاً مؤرقاً للبشـــرية بأســـرها وليس انشغالاً معزولاً؛ لذا كان التطرق إليـــه توخياً لفائدة الجميع، وقد أولاه ملتقـــى القيادات الدينيـــة ذلك الاهتمام الخاص.

رابطة العالم الإسلامي تدين الهجوم الذي وقع غرب سيناء في مصر

أدانت رابطة العالم الإسلامي، الهجوم الإرهابي الذي وقع غرب سيناء في جمهورية مصر العربية، وأدى إلى استشهاد وإصابة عددٍ من منسوبي القوات المسلحة.

وأكّد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، أن هذا الاعتداء الإرهابي لن يزيد مصر إلا عزيمة وقوة على مواجهة الإرهاب واستئصاله.

وشدّد معاليه، باسم رابطة العالم الإسلامي ومجامعها وهيئاتها ومجالسها العالمية على التضامن الكامل مع جمهورية مصر العربية في حربها ضد الإرهاب، وضد كل ما يهدد أمنها واستقرارها، معرباً عن خالص التعازي لأسر الضحايا، ولمصر العزيزة قيادةً وحكومةً وشعباً، سائلاً الله تعالى أن يمنّ على المصابين بالشفاء العاجل، وأن يردّ كيد الإرهاب في نحره، ويقي الجميع شره.

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

themwl.org mwlorg

من حوار الأديان إلى ملتقى قيادات الأديان

د. عبدالله بن صالح الجميلي
أكاديمي وباحث

تبنت رابطة العالم الإسلامي من مقرها في مكة المكرمة منهج الحوار مع أتباع الأديان منذ سنوات، وبعد تولي معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى مهام الأمانة العامة، وبفضل الجهود الكبيرة لمعاليه أصبح للرابطة دور رائد في تقريب وجهات النظر بين الأطياف والمِلل، وصار لها واسمٌ عالمي في كل أنحاء المعمورة.

وكان المنطلق لهذا النهج هو أن الديانات السماوية تتفق في الأصل والجوهر، فهي جميعها قائمة على التوحيد لله الواحد، وتحث الناس على الالتزام بالأخلاق الفاضلة، وتنهى عن ارتكاب المعاصي والذنوب. ذلك ما جاء به رسلها موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام.

يهدف حوار الأديان وملتقى قيادات الأديان إلى التأكيد على القيم الإنسانية النبيلة المشتركة، وأبرزها تكريم الإنسان والاعتراف بحقوقه، كما تهدف إلى نبذ الكراهية والتعصب الديني بين أهل هذه الأديان، لكونها فرصة حقيقية للتعايش السلمي وحسن الجوار، لكي تحل ثقافة المحبة والسلام والتآخي محل الكراهية والتعصب والتطرف.

وتكمن أهمية ملتقى القيادات الدينية الذي عقد في الرياض في تقارب الأهداف المشتركة للوصول إلى رؤى مشتركة في المشكلات التي تواجه البشرية، وبذلك ينشأ السلام ويزدهر.

مما نعرف بأن الإسلام دين التسامح والمحبة والسلام، حيث قال رسولنا الكريم محمد صلّى الله عليه وسلم "بعثت بالحنفية السمحة"، مما يدل على أن للتسامح قيمة كبرى في الإسلام، نابعة من هذه السماحة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من أخوة وتعاضد، من غير تفوق عنصر أو جنس على آخر، إذ يدعو ذلك إلى الاعتقاد بجميع الديانات الأخرى، إذ يقول الله تعالى في كتابه الكريم "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" (البقرة، ٢٨٥).

وبهذا تنتقل رابطة العالم الإسلامي من مرحلة الحوار بين أتباع الأديان لتتوج مساعيها الآن في ملتقى عالمي يتداعى له قادة الأديان من أماكن مختلفة من العالم، يتواثقون من جديد على أن التعايش بين أتباع الديانات والثقافات الأخرى يمثل حاجة ملحة تتطلبها مصلحة الجميع في مواجهة الكراهية والعنصرية والتطرف وشعارات الصدام الحضاري.

وذلك نهج أوضح معالمه أمين الرابطة حين قال معاليه: "ما أحسن أن يكون الأخ قريبًا من أخيه... حسن الظن يبادره بقبول عذره وتفهم سنة الله في الاختلاف والتعدد، مع بيان ما يراه حقًا وصوابًا بالحكمة والموعظة الحسنة، دون استعداء ولا استعلاء ولا تشهير، فضلًا عن مجازفات التكفير ونحوه".

هكذا تحقق الرابطة رسالتها السامية في العالم ولله الحمد بما أنعم وأعطى.

لماذا الحاجة إلى

القيم المشتركة بين أتباع الأديان؟

بقلم الدكتور أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر

في كل يوم يمر على البشرية في عصرها الراهن، يتأكد للمنصفين -حول العالم- أنها في مسيس الحاجة إلى قوة روحية تنثر بذور الإخاء والسلام والوئام؛ ذلك لأن البشرية تواجه تحديات جسامًا، تتسم بسرعة الوتيرة والتواتر والتتابع والنمو والتشابك والتعقيد.

والحضارة المتقدمة على الرغم من أنها قد بلغت مبلغًا لم يسبق له نظير في التطور العلمي، فإنها تبنت فلسفات بعيدة عن الإيمان، الأمر الذي يدعوها إلى إعادة النظر في علاقتها بخالقها.

إن رجال الحضارة المتقدمة بما أحرزوه من تقدم أوصلهم إلى القمر، ومكَّنهم من زرع الأقمار الاصطناعية، ونثر أجهزة الاستشعار عن بُعد في الفضاء، وتثبيت كابلات الإنترنت في أعماق البحار والمحيطات، ونشر موجات التقنية وتردداتها في كل مكان، وبعضهم تسابق في اختراع آليات الحرب والدمار بشكل رهيب، بامتلاك أسلحة ربما لا تشكل تهديدًا لمئات الآلاف من البشر أو حتى الملايين فحسب؛ بل إنها تهدد الحياة والأحياء في هذا الكوكب، الأمر الذي يدعو العالم وبشدة إلى البحث عن البديل الآمن لنجاة البشرية من الأخطار المحدقة بها، ومن هنا كان تبني القيم المشتركة بين أتباع الأديان، باعتبارها كفيلة حال تفعيلها بضبط بوصَلة العالم نحو نجاة البشرية ونجاحها.

ولقد أحسنت رابطة العالم الإسلامي صنعًا عندما أولت هذا الموضوع أهمية بالغة، وعقدت هذا الملتقى العالمي المهم، وحشدت له الطاقات والخبرات ووفرت له شتى الإمكانات (إمكانات الزمان والمكان والإنسان)، من أجل إنجاح أعماله وأشغاله، وإنفاذ قراراته ومقرراته، بمشاركة أشقائها من الدول العربية والإسلامية، وبحضور قيادات بارزة ومؤثرة للأديان العالمية، وكبار الشخصيات والمنظمات والمؤسسات العالمية ذات الاهتمام بموضوع الملتقى، وذلك يوم الأربعاء ١٠ شوال عام ١٤٤٣هـ الموافق ١١ مايو عام ٢٠٢٢ هـ بمدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية؛ سعيا إلى تحقيق توافق عالمي، ضمن رؤية حضارية مشتركة، وتستثمر مشتركاتها القيمية المتعددة بوصفها في طليعة القيم الإنسانية المشتركة التي من شأنها أن تعزز التعاون والإخاء بين المكونات الروحية الفاعلة عالميا.

ويمكن تحديد أهمية هذا الملتقى في النقاط التالية:

" الملتقى ضم ممثلين لكثير من دول العالم، على مائدة واحدة -تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي، بما لها من رصيد عالمي في نشر سماحة الإسلام والسلام، وبما لها من رؤية جامعة لبني الإنسان، يتحاورون حول قضية بالغة الأهمية، وهي إحياء القيم المشتركة بين أتباع الأديان، باعتبار أن القواسم القيمية المشتركة

من أهم القاطرات التي يمكن أن تجمع العالم بأسره على كلمة سواء.

" الملتقى أعلن رؤية الإسلام واضحة بأن: لجميع أتباع الأديان الحق في الوجود بكرامة واحترام ورفض أي تأويل خاطئ أو متعمد يقوض التعايش بين أتباع الأديان.

" أن الملتقى نبه العالم في شرقه وغربه، شماله وجنوبه، في طوله وعرضه وعمقه، إلى ضرورة أن يُفتش في مخزونه الفكري وتراثه وثقافاته وعقائده وقيمه؛ ليخرج للدنيا كل ما من شأنه الإسهام في

البيان الختامي للملتقى وثيقة تاريخية يجب تضمينها في البرامج التعليمية والإعلامية

رابطة العالم الإسلامي تحقق آمال العلماء ومطالبهم حول إبراز القيم والقواسم المشتركة

تحقيق التسامح والأخوة الإنسانية والتكامل ومن ثم السلام العالمي.

" أنه لفت الأنظار إلى أن العالم لم يعد يتحمل حروبًا ولا صراعات ولا أوبئة، بل هو في حاجة ماسة إلى تصفير الصراعات، وإيقاف أصوات المدافع؛ بل إنه لا يزال يذكر خطايا الحروب العالمية وضحاياها بكل حزن وأسى. كما أن اقتصاد العالم هو الآخر لا يتحمل بتاتا الحروب والصراعات والنزاعات.

" العالم كله في حاجة ماسة إلى قوة روحية جبارة، تحمل في كينونتها وفي طياتها حبوب لقاح المحبة والتعايش والسلام، ودعم فكرة المواطنة العالمية التشاركية، والمسؤولية الكونية المشتركة عن سلامة الإنسان والكون والحياة، وهذه القوة كائنة وكامنة في القيم الضابطة لفكر الإنسان وقيمه وسلوكه، ومن أهمها قيم التسامح، وهي من القيم الإسلامية والإنسانية الكبرى التي من شأنها -حال تمكينها في الحياة- أن تُسهم في إيجاد بيئة عالمية متسامحة متعاونة منطلقة من أصل

واحد، وقيادة سفينة البشرية إلى شواطئ الأمان وسواحل الرشاد.

" الملتقى جاء في وقته وأوانه؛ وكلنا نرى ما يدور من صراع، ندعو الله أن يتوقف ويجمع العالم على كلمة سواء؛ حتى تنعم البشرية بالسلام والوئام، والإخاء والرخاء.

" الأخلاق والقيم هي الضابط الداخلي -والرقابة الذاتية التي تفوق كل أنواع الرقابة- والسند والداعم الأساس للدساتير والقوانين المنظمة للعلاقات داخل المجتمعات.

" القيمة عندما تستمد قداستها من العمق الديني، فإن ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيرًا في حياة الإنسان، ولعل هذا ما يوضح أهمية القيم المشتركة بين أتباع الديانات.

" إحياء القيم وتمكينها يساعد على العيش الآمن في هذه الحياة، على شتى المستويات بداية من الفرد مرورًا بالأسرة والفئات المكونة للمجتمع، ثم المجتمع وصولا إلى الإنسانية جمعاء، ويسهم في الحد من الصراعات والقضاء على بواعث الانتقام وشطحات العناد، وبالتالي ضمان استقرار الحياة الإنسانية التي يجب أن تقوم على الأمن والسلام والمحبة والقبول بمبدأ الاختلاف والتعددية.

" مخرجات الملتقى حال تفعيلها على المستوى الجمعي عالميًّا، كفيلة بالتحضير الإنساني لممارسة القيم الجامعة والتسامحية، ويمكن توظيفها لبناء أجيال جديدة قادرة على التفاعل الإنساني، ومجهزة للعيش في عالم متنوع الثقافات والديانات والعقائد والإثنيات، مع الحفاظ على المعتقدات والإرث الحضاري للدول والشعوب، والتشارك العالمي لمواجهة الأخطار المحدقة بالعالم، ونشر التسامح والتراحم والتلاحم بين أبناء الكون.

" من الأهمية بمكان استثمار مثل هذا الحدث العالمي للسعي في خطوات منظمة للقضاء على ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب؛ بإبراز خبرات الحضارة الإسلامية الزاخرة بالفكر التنظيري والممارسات التطبيقية التسامحية المضيئة، والتي قدمت نماذج فريدة وشاملة في مضمار إقرار التنوع والتسامح يمكن توظيفها والبناء عليها لنشر السلام في شتى ربوع العالم.

" ولعل من المواطن المهمة التي أطَّر لها الملتقى فكرة القيم التشاركية العالمية، التي تتخطى الحواجز الزمانية والمكانية والفكرية وعوامل العزلة، لتجمع شتى البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ومعتقداتهم وأعراقهم، على مبادئ عامة، يشعرون من خلالها وكأنهم مواطنون في دولة واحدة، في إطار الأخوة الإنسانية والقواسم المشتركة والإقرار الكامل بالتعددية والتنوع الحضاري والديني والإرث الثقافي للشعوب والحفاظ عليه.

" أن الملتقى سيسهم في اطلاع الأجيال الحالية والقادمة على ثقافات الدول، وطبيعتها، وأنماط معيشتها، وخصائصها، وحضاراتها، وهذا شيء مهم جدا في عملية التقارب والتفاهم والتعاون والتضامن لحماية الإنسان والأوطان.

" التركيز على إعادة النظر في الفلسفات والبرامج التربوية والتعليمية والإعلامية والثقافية الموجهة للأطفال، لا سيما الألعاب الإلكترونية وأفلام الكرتون التي يمكن توظيفها في تربيتهم على قيم التسامح والتعايش في إطار القواسم القيمية والأخلاقية المشتركة.

" التفاعل والحوار الفعال وتكامل الرؤى والمبادرات العملية، والبيان الختامي المشتمل على "إعلان القيم الإنسانية المشتركة" سرَّ الجميعَ، وأسس لمرحلة جديدة من التكامل العالمي، تحتاج إلى لجان عمل ومتابعات جبارة، لتمكين مخرجات المؤتمر وتنفيذها على أرض الواقع.

التوافق والاتفاق على مبادئ عامة:

اعتبر المشاركون لقاءهم الأخوي فرصة سانحة للتعبير عن رؤاهم المشتركة والإسهام بفاعلية في تصحيح المسار الإنساني المعاصر بتحريره من طوفان: "الأنانية والمادية والاستعلاء"، والارتقاء إلى ساحة التضامن والتنافس في الخير والعطاء؛ لإسعاد الإنسان وإعمار الأرض، والتأكيد على مركزية الدين في كل حضارة، باعتبار تأثيره في صياغة أفكار المجتمعات البشرية، وإلهامه الروحي للمؤمنين به، والتأكيد على عدم الخلط بين الدين والممارسات الخاطئة لبعض أتباعه، (أيا كان نوعها وهدفها وحجمها)، وأنه من الظلم لأتباع أي دين تحميلهم تبعات تلك الممارسات المعزولة، ووجوب تفهم الخصوصيات الدينية لكل دين أو مذهب، والتعامل معها بصفتها تمثل التنوع البشري المشمول بحكمة الخالق في الاختلاف، ولكل قناعته وإيمانه الذي يدين به لله تعالى، واعتبار أن البشر على اختلاف مكوناتهم وانتماءاتهم يرجعون إلى أصل واحد، وهم متساوون في إنسانيتهم، ومشمولون جميعا بالتكريم والنداء الإلهي، وأن الحوار الفعال سلوك حضاري، قررته الأديان بوصفه السبيل الأمثل لحل النزاعات، وترشيد الخلافات، وإزالة المخاوف والأفكار الخاطئة، ومعالجة الأحكام المسبقة، ومن ذلك تفكيك نظرية حتمية الصدام الحضاري، وصولا إلى تعزيز الثقة وتمكين المحبة وإرساء التعاون بين الجميع، وأن واقع التنوع الإنساني وحتمية الخلاف يستوجبان التحلي بالسماحة والتسامح والقبول بالتعددية وصون الكرامة الإنسانية باحترام الآخر وجودًا وحضارة، وأن الإخاء الإنساني الفعال والمثمر هو الخيار الأول لسلام الوجود البشري بوصفه من أهم التحصينات في مواجهة التحديات التي تواجه الأسرة الإنسانية، وأن حقوق الإنسان قيمة مركزية مستقرة في الوجدان السوي للبشرية، لا تقبل التمييز ولا المحاباة لدين أو جنس أو لون أو أي هوية أخرى، وأن محاولات فرض الهيمنة الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية مظهر مِن مظاهر التطرف والاستكبار، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التفوق الحقيقي "أيا كان نوعه" هو مَن يفرض نفسه تلقائيا بقوته الناعمة "الأخلاقية" التي تبدو بوضوح في الأثر الملموس للإرادة الصادقة والنبيلة نحو الإنسان، مع ضرورة استدعاء عظات التاريخ الإنساني وعِبره، والتحذير من مخاطر الكراهية والعنصرية والإساءة إلى الأديان ورموزها.

ولا ريب في أن البيان الختامي للملتقى، يعد وثيقة تاريخية يجب تضمينها في البرامج التعليمية والثقافية والإعلامية، كما أن إصدار موسوعة القيم الإنسانية المشتركة يعد عملا تاريخيا وشاهدًا على رؤية رابطة العالم الإسلامي لنشر السلام العالمي، ومن ثم تكون الرابطة قد حققت آمال العلماء ومطالبهم حول القيم والقواسم المشتركة.

إنني إذ أسطر هذه الكلمات عن هذا الملتقى المهم ومراميه النبيلة فإنني أضم صوتي إلى صوت مفتي الديار المصرية فضيلة أ.د شوقي علام، وغيره من السادة العلماء حول العالم، لتثمين رؤية رابطة العالم الإسلامي في التعاطي مع تحديات الواقع الإنساني، والسعي الحثيث لإيجاد بيئة عالمية متسامحة، ولا سيما أن عمارة الأرض – والانتفاع بخيراتها – لا يمكن أن تتحقق لو كانت العلاقة بين أهل الأديان قائمة على التنافر والتناحر والبغضاء، ومن ثم تأتي المسؤولية الأخلاقية والدينية الكبيرة والثقيلة الملقاة على عاتق القادة الدينيين في العالم تجاه قضية دعم قيم التعايش المشترك بين الأديان.

فتحية تقدير وإجلال للقائمين على أمر هذا الملتقى العالمي المهم، وعلى رأسهم معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، على هذه الجهود الدقيقة والمنظمة والمنتظمة، التي تؤكد دوماً على عالمية الإسلام وعظمته وقدراته الخلاقة على قيادة الحياة إلى رشدها ورشادها.

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية لمجلة (الرابطة):

د. العيسى عالم متعمق في الفكر الإسلامي ويسير بخطوات مدروسة

حوار: عبد الله حسين

وصف معالي الأستاذ الدكتور أسامة محمد العبد، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، وكيل اللجنة الدينية بمجلس النواب المصري، معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، بأنه رجل المرحلة الذي استطاع خلال فترة وجيزة أن يحقق العديد من المنجزات على الصعيدين الدولي والإسلامي، وبرز في جميع المحافل كرمز إسلامي، كونه عالماً متعمقاً في الفكر الإسلامي ويسير بخطوات مدروسة.

مجلة (الرابطة) التقته على هامش أعمال ملتقى القيم المشتركة بين أتباع الأديان الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي أخيراً بالعاصمة السعودية الرياض وأجرت معه الحوار التالي:

• معالي الدكتور كيف تثمنون عقد هذا الملتقى في العاصمة الرياض واختيار موضوع القيم المشتركة بين أتباع الأديان عنواناً له؟

بداية يتوجب عليَّ أن أعرب عن صادق مشاعري، وعظيم امتناني، بوجودي بين هذه الكوكبة من

صفوة العلماء والمفكرين، في هذا البلد الطيب المبارك، الذي نحمل له في قلوبنا حُبًّا لا يماثله بلد آخر فيه -بلاد الحرمين الشريفين-. فكل التحية والتقدير للمملكة العربية السعودية، ملكًا وولي عهد وحكومةً وشعباً.

لقد أسعدني جدًّا وأثلج صدري، موضوع ذلك الملتقى الطيب الذي يدعو إلى إلقاء الضوء على القيم المشتركة بين أتباع الأديان، وهذا المشروع الكبير الجليل، الذي تدعو إليه رابطة العالم الإسلامي، التي تشرف بقيادة عقلية حكيمة دقيقة، وهو معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى؛ الذي استطاع خلال فترة وجيزة أن يحقق العديد من المنجزات على الصعيدين

الدولي والإسلامي، وبرز في جميع المحافل كرمز إسلامي كونه عالماً متعمقاً في الفكر الإسلامي ويسير بخطوات مدروسة.

إن الإسلام قد احتوى على العديد من المبادئ والقيم التي تشحذ الهمم، وتدعو إلى الاستفادة من منجزات البشر من أي جنس ودين ولون، وهو دين يُرسِّخ لقيم التسامح، واحترام حقوق الإنسان وحرياته، ونبذ الإرهاب والفكر المتطرف بكل أشكاله ومعانيه.

فقضية المشتركات الإنسانية واحتواء التعددية الدينية والعرقية والثقافية في إطار قيم التعايش والتآخي، لهي قضية يجب أن ننهض بها جميعًا، ونُعطيها جلَّ اهتمامنا؛ لفهم وترسيخ الأسس الإسلامية الصحيحة التي يجب أن تسود بين البشر جميعًا، فضلا عن تخفيف حدة التوتر الذي يظهر بين الحين والآخر بفعل أصحاب الفكر المتطرف، ودراسة المنابع المغرضة التي تؤجج العلاقة بين أتباع الأديان، بل وبين الناس جميعاً.

• ما دور العلماء والقادة الدينيين من أجل ترسيخ مفهوم قبول الآخر والتعدد الفكري؟

إن واجبنا كعلماء وقادة دينيين يدعونا إلى إظهار سماحة الإسلام وقبوله الآخر بتعدديته العقائدية والفكرية والثقافية والاجتماعية، باعتبار ذلك سنة كونية من سنن الله تعالى، هذا بالإضافة إلى التركيز على القواسم المشتركة بين الأديان؛ لتكون منطلقًا لديمومة الحوار واستمراريته، فضلاً عن تحقيق الفهم الصحيح في مخيلة الآخر حيال مجريات الأحداث في العالم الإسلامي بعيدًا عن المبالغة والتهويل في عرض الموضوعات، ولتصحيح الصورة النمطية عن الإسلام في الإعلام الغربي

> **التركيز على القواسم المشتركة بين الأديان لتكون منطلقا لديمومة الحوار**

> **نحتاج أن نجعل مبادئ ومشتركات الأخوة الإنسانية واقعا ملموسا للبشرية جمعاء**

ومناهجه الدراسية، وإبراز قيم الإسلام السمحة التي تدعو إلى الاعتدال ورفض الجمود والانغلاق والتعصب والتطرف بشتى صوره وأشكاله وأساليبه، وإظهار أن الميلاد الحقيقي لحقوق الإنسان بدأ من تاريخ بعثة سيد الخلق سيدنا محمد بن عبد الله – صلَّى الله عليه وسلم-.

إن ديننا الإسلامي بقيمه، يرتقي بالإنسانية، فهو دين عالمي، لا يحفل بجنس ولا يتميز لعرق، بل يراعي التوازن بين العقل والوحي، وبين المادة والروح، وبين الحقوق والواجبات، وقد حفلت مفردات القرآن الكريم بنداءات للناس جميعاً، كقوله تعالى: "يا أيها الناس"، وقوله: "يا بني آدم"، وتكرر فيه لفظ "العالمين"، ولفظة "من" التي تفيد العموم والشمول لكل من يعقل.

فالإسلام ثابت في أصوله ومبادئه لا يعتريه تغيير أو تبديل، وقانون الأخلاق فيه قد رسم منهج

السلوك الإنساني في جميع المجالات وفي شتى النواحي. فالأخلاق في الإسلام أخلاق تمتاز بشمولها وكمالها فرديًّا واجتماعيًّا وإنسانيًّا ودينيًّا.

• مصطلح الأخوة الإنسانية له أصل في الشريعة الإسلامية.. فما الشواهد على ذلك؟

لا شك بأن لدينا الكثير من الشواهد الدالة على أن الأخوة الإنسانية واجبة، ومنها إمامة النبي - صلَّى الله عليه وسلم- الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، وأن التعارف هو الأصل بين البشر مصداقاً لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".

ولنتأمل كلمات رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم-، في العهد الذي كتبه إلى مسيحيي نجران، ولنتدبر معانيه التي جاءت مفعمة بمعاني الحب والتسامح والعطاء وعدم إيذائهم في كنائسهم وبيوت صلواتهم، ذلك العهد الذي جاء فيه: "إن علىَّ أن أحمي جانبهم، وأذبّ عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان، وأن أحرس دينهم وملتهم أينما كانوا؛ من بر أو بحر، شرقاً وغرباً، بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام، وأن أدخلهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل أذى ومكروه، وأن أكون من ورائهم، ذابّاً عنهم كل عدو يريدني وإياهم بسوء، بنفسي وأعواني وأتباعي وأهل ملَّتي".

كما أن هناك عدداً من الآيات القرآنية تذكر أتباع المسيحية، تقشعر لها الأبدان من حلاوة التعبير، فتذكر خصائصهم الروحية وإنسانيتهم الرقيقة، قال تعالى: "وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ".

ومن أقوال الرسول - صلَّى الله عليه وسلم- للمسلمين لمن ظلم منهم أحدًا: "من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة"، ومن هنا نجد أن الإسلام يدعو فيما يدعو إلى التعارف، ومن التعارف القدرة على قبول المخالف، والاستفادة مما لديه من خبرات وصلات تنفع كافة المجتمعات، كما يدعو كذلك إلى التعايش السلمي، حيث قال تعالى في سورة الممتحنة: "لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"، وأيضا يدعو إلى التعاون، وقد يكون معلومًا أن كثيرًا من القضايا العامة تشكل قاسماً مشتركاً بين المسلمين وغيرهم، مما يجعل التعاون ضروريًّا. ومما يحسن أن نُدركه أن النزعة الإنسانية تتكرر في كثير من الآيات، والإسلام بقيمه وتعاليمه ومبادئه، يعمل على الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والأنساق المتفقة في الحضارات والثقافات والمعتقدات.

• كيف يمكننا تفعيل القيم المشتركة في ظل الواقع الذي تعيشه الأمة؟

الحقيقة إن الواقع يفرض علينا العمل من أجل تفعيل القيم المشتركة بيننا؛ لأن التعرف على القيم والقواسم المشتركة وتفعيلها يجنبنا أشكال التطرف والتعصب والكراهية. فمهما حاولت الفئة الضالة إحداث الوقيعة بين صفوف المجتمع وأطيافه، فإنها لن تستطيع؛ لأن الجميع يدركون أن الكل مستهدف، وأن التفجير والإرهاب لا يفرق بين مسلم ومسيحي، ولا بين مسجد وكنيسة، فالتحدي كبير ولا يمكن قصره على شخص أو مجموعة أشخاص، والإرهاب ظاهرة

عالمية ضربت معظم الدول الأوروبية، بل ضربت العمق الأمريكي ذاته. إن العدالة الدولية وحدها هي التي يمكنها الوقوف في مواجهة الإرهاب.

لذا يجب علينا التعامل بإيجابية مع المشتركات الإنسانية، فالمشتركات الإنسانية لا تختلف فيها العقول ولو تباينت العقائد، ولا تتأثر بتغير الزمان أو المكان، فالحق والخير والعدل والمساواة والتسامح والتعايش والتعاون وغير ذلك من القيم ضرورات إنسانية لا تقوم الحياة بدونها، وإنَّ رفْض المشترك الإنساني يؤجِّج ويؤصِّل للعنف والإرهاب والحروب والدمار والخراب.

ونحن نحتاج إلى أن نجعل مبادئ ومشتركات الأخوة الإنسانية واقعًا ملموسًا للبشرية جمعاء؛ لأن الإنسان الذي يتنكر لالتزاماته الخُلقية تجاه الآخرين هو إنسان يعزل نفسه عن المشاركة الإنسانية؛ وذلك ميت له؛ لأنه مدني بطبعه محتاج إلى المجتمع الإنساني.

إن مما ينبغي أن نلقي الضوء عليه ونشير إليه، هو أن إبراز القيم الإنسانية في الإسلام ضرورة عصرية، العالم أجمع أحوج ما يكون إليها، وإظهار تلك القيم من شأنه ترسيخ المعالم الإسلامية وحوار الحضارات والتفاهم بين أهل الأديان، هنا نكون قد أسهمنا في إبراز ثوابت الأمة ومنطلقاتها في وقت تشتد الحاجة فيه إلى إسهامات المسلمين.

فالإسلام يؤكد أن أساس دين الله تعالى يقوم على إقامة العدل بين الناس وشيوع قيم الإحسان بينهم، والعمل على مكافحة الفحشاء والمنكر، ومحاربة البغي في حياتهم، وقد عظم فقهاء الإسلام قيمة العدل، حتى جعلوه معيارًا لنصرة الله وتأييده لأية ملة تقيمه وتلتزمه حتى ولو كانت غير مسلمة؛ لقول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ".

• ما المنطلقات التي يمكن أن نستند عليها لطرح ميثاق يكون منهجاً للتعايش بين المجتمعات؟

إن الإسلام مثلما وضع ثوابت ومنطلقات، وقدَّم قيمًا ومبادئ كلية لضبط أدبيات ومقومات التعايش البشري والتعارف الإنساني، فإنه أيضا وضع ثوابت ومنطلقات، وقدَّم قواعد وأسسًا لضبط حركة مصالح الناس، وقدَّم قيما وأدبيات لإحكام سيولة تبادل المنافع بين المجتمعات في إطار التعايش والتعارف بينهم.

إن علماء المسلمين وفق هذا المنهج الرباني العادل وموروثه القيمي والتشريعي، وفي ضوء قدراتهم المادية والسياسية ليجدون أنفسهم مؤهلين كل التأهيل لأداء مهمتهم وإسهاماتهم الإيجابية الفعَّالة في معترك التدافع الإنساني البشري؛ ولإقامة نظام عالمي عادل، يُنهي حالة القلق والذُعر التي تحيق بالناس، ويصرف أسباب الفساد في الأرض، ويضع حدًّا لتدهور العلاقات الدولية في أكثر من موقع، ويزيل عوامل الاضطراب والجشع والصراع السياسي والاقتصادي بين الأمم، ويضبط حركة التدافع الإنساني، ويقيم موازين القسط للتعايش والتعاون البشري، ويرتقي بمنهج التبادل والتكامل الثقافي بما يحقق للناس تطلعاتهم لحياة إنسانية آمنة مطمئنة تنعم بالأمن والاستقرار والعدل والسلام.

ولنضع في الحسبان أن المسلمين من أجل هذه المهمة الجليلة النبيلة على استعداد لكل حوار بنَّاء مع أية جهة؛ للسير بالإنسانية نحو الخير والفلاح، وقد لا يخفى على أحد أن الأمة الإسلامية تمتلك رصيدًا ضخمًا من القيم الهادفة، التي يمكن استثمارها فيما يفيد الإنسانية.

جنودنا المرابطون:
دمتم ذخرًا للإسلام وفخرًا للوطن

بقلم: د. أحمد عبد القيوم عبد رب النبي
الباحث في إدارة الدراسات بالرابطة

كان من فضل الله على البشرية، ومنّته على الإنسانية، أن أكرمها بهذا الدين العظيم، وبعَث فيها رسوله الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة سماوية مستدامة وصفها القرآن الكريم، بقوله: "وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين". فعاشَت البشرية في ظل الإسلام وكنفه حياة الأمن والطمأنينة والسعادة، متطلّعة للعزة والتمكين والريادة. وفي مقابله علّم الإسلام أبناءه أن يحيوا حياة عزيزة أبيّة، تَستقبح الضَّيم، ولا تَرضى بالمهانة والظلم، ولا تُعطي الدنيّة في دينها، تَطلب الحق وتُعليه، وتَرفض الباطل وتُقصيه، تُجابه الظلم والبغي والعدوان، بشجاعة وبسالة وإقدام.

هكذا استنهض الإسلام همم أتباعه، فربّاهم على معالي الأمور، ودفَعهم إلى ذُرى العلياء والمجد، لينالوا الشرف والسؤدد، دون ضَعف أو استكانة أو خمول، فكان المسلمون بذلك أمّة عظيمة، شامخة قوية، تقف في وَحدة وتكاتف وإخاء، وعزّة وشموخ وإباء، تسلك مسالك السلام ما استطاعَت، وتَنشر المحبة والوئام ما وجدَت لذلك سبيلا، شعارها في ذلك قوله تعالى: "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين"، ومقصدها الأسمى تحقيق قوله جلّ وعلا: "وكلمة الله هي العُليا".

إن طبيعة الإيمان الصادق إذا تجذّر في النفوس والوجدان، ووقَر في القلوب والأبدان، فإنه يُضفي على صاحبه نوراً، يُكسبه عزيمة وثباتًا، ويمنحه قوة وصدقًا، فيصمُد للتحديات، ويَقوى على الشدائد والملمّات، مستعينا بربّه جل وعلا في كلّ حركاته وسَكناته، مؤمّلا وعْد الله ولقائه: "رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله".

ومن معالم صِدق الانتماء وصحة الولاء لهذا الإسلام العظيم: حَمْل راية البذل والتضحية في سبيله ابتغاء مرضاة الله تعالى، واحتمال المصاعب، والصبر على الشدائد، مهما بعُدت الشُّقّة، وطال الطريق، وكثُرت العقبات، وبلغَ مكر الأعداء: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين". فذلك هو طريق الإيمان الخالص والإحسان الصادق، وهو برهان العبودية الحقّة لله، والاستجابة العظيمة التي كلّفنا الله بحمْل أمانتها، وشرّفنا بالانضواء تحت رايتها، وهذا يحتاج منّا إلى قوة وصِدق وعزم وثبات، لتأييد الحق ونَصره، وهدْم الباطل ودحْره، وإقامة صروح العدل، وتحرير الإنسان من الظلم والطغيان، وحمايته من الغَدر والعدوان، وهي مهمّة عظيمة لا تتحقق إلا ببذل المُهج والنفوس على أرض الميدان، لتكون بحق عُنوانا راسخا على حبّ الوطن وصِدق الانتماء، وبُرهانا صادقا لعُمق الولاء والتضحية لهذا الدين العظيم.

وهذا ما أثبته -بحق وصدق- رجالنا الأبطال وجنودنا البواسل على حدود بلادنا العزيزة- المملكة العربية السعودية- حيث اختارهم الله واصطفاهم لهذا العمل الجليل، في بلد شرّفه الله بخدمة الحرمين الشريفين

ورعاية مقدسات المسلمين، فكانوا العيون الساهرة، والجنود المخلصة، والسياج المنيعة، والدروع الحصينة لهذا الوطن المِعطاء، وحمايته من كل سوء ومكروه.

إن من ثوابت بلاد الحرمين الشريفين ومنهجها الإسلامي الحكيم القائم على الوسطية والاعتدال وتحقيق التوازن في أمور الحياة: أنها لا تدعو أبدًا إلى الحرب، ولا تستجيز الاعتداء والعدوان، قد أسسها المؤسِّس الملك الصالح عبد العزيز آل سعود-طيّب الله ثراه- على فكر وحدوي ومنهج شمولي وهدف سِلمي يستوعب الجميع، ويستَعلي على الطائفية والعصبية وينبُذ الإقصاء والقبلية، فما زالَت تقف مواقف الحكمة والحِلم، وتَسعى في تعزيز الأمن الدولي والسِّلم العالمي، تحاول جَهدها في رأب الصدع وجَبر الكسر ولمّ الشمل، من خلال الحلول السلمية والمساعي الحوارية، فسجّل التاريخ الحديث بأحرف من نور مبادراتها العظيمة ومواقفها الخالدة في إغاثة الملهوفين، ومساعدة المنكوبين، وإعانة المحتاجين، ونُصرة المظلومين، وردّ البغاة والمعتدين، تحقيقا للحياة الإنسانية الكريمة والعيش الرغيد والمجتمع المتماسك الآمن.

كما أثبتَت هذه البلاد المباركة -بما حباها الله من خيرات ورجال أوفياء صادقين- أنها أكثر ما تكون تلاحما وأشد ما تكون تماسكا في الأزمَات والملمّات، فزاد ذلك في يقيننا أنّ البغي دوماً إلى زوال، وأن عاقبة الباطل ولا رَيب إلى فناء.

وها هي المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود وسمو وليّ عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان -حفظهما الله وأيدهما بنصره وعونه - كانت وستظل بإذن الله تعالى حصنًا حصينًا وسدّا منيعًا تتهاوى على حَزمها وعزمها سهام الحاقدين، وتتحطم على ثباتها وتماسكها مطارق المعتدين: "والله غالبٌ على أمْره ولكنّ أكثر الناس لا يَعلمون".

وننتهز هذه الفرصة لنبارك لهؤلاء الجنود المرابطين على الحدود والثغور بما شرّفهم الله به من جليل المكانة وشَرف المهمّة، فنذروا أنفسهم وفدَوا أرواحهم لحماية بلاد الحرمين الشريفين والسهَر على أمْن المواطنين والمقيمين، والحُجّاج والمعتمرين، مُمتثلين في ذلك قول الحق تبارك وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"، مؤمّلين بشارة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها"، وفي رواية: "رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهرٍ وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجري عليه رِزقه وأمِن الفَتّان".

فهنيئا لكم -حُماة الوطن- ما أنتم فيه من فضيلة الجهاد في سبيل الله تعالى، وهنيئا لكم شَرف الرباط في سبيل الله تعالى، وأبشِروا وأمّلوا ما وعدكم الله به من الفضل العظيم والأجر الجزيل، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار"، وقال عليه الصلاة والسلام: "مَثل المجاهد في سبيل الله كمَثل الصائم القائم القانت بآيات لله، لا يفتُر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله"، وفي بيان ما أعده الله من منزلة عظيمة للمجاهد في سبيله، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض".

وإن أعظم الجهاد ما كان في حماية الحرمين الشريفين ومقدّسات المسلمين، وتأمين السُّبل لضيوف الرحمن والزائرين، وقطْع دابر المفسدين، فما مِن رباط أشرف من رباطكم، وأنتم الساهرون على الحدود والثغور، في دفْع ومنْع أنواع الفساد والشرور، فدُمتم للدين حُماة وسَنَدا، وللوطن فخرا وعزّا، وكفاكم شرفا وفضلا دفاعكم عن بيضة الإسلام وحرمه، وحمايتكم لقبلة المسلمين، ومثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن مقامكم -أيها الجنود المرابطون- وأنتم تذودون عن بلاد الحرمين الشريفين وتَحمونها من عبَث العابثين وإفساد المفسدين خيرٌ لكم من الإقامة والسكنى في الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، مع ما لهما من

المزايا والخصائص والفضائل، فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– إجماع العلماء على أن إقامة الرجل بأرض الرباط مرابطا أفضل من إقامته بمكة والمدينة وبيت المقدس، ولهذا قال أبو هريرة –رضي الله عنه–: "لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحبّ إلي من أقوم ليلة القدر عند الحَجَر الأسود".

وسُئل الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– أيهما أحب إليك: الإقامة بمكة، أم الرباط في الثغور؟ فقال: الرباط أحبّ إليَّ.

شرّفكم الله تعالى بأن تكونوا حصنا منيعا لهذا البلد الإسلامي الكبير بإيمانكم الصادق، ويقينكم الجازم، متسلّحين بعُدّتكم المانعة وقوتكم الدافعة، واقفين بحزم وصرامة في وجه كل من أراد انتهاك حرمة البلد الحرام أو تدنيسه بسفك دم، أو ترويع آمن، أو العبث بممتلكاته، فحفِظتم الأمن الداخلي والخارجي في أرجائه، وسعَيتم لنشر الاستقرار في ربوعه، حتى يأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ويتنقلوا في رحابه آمنين مطمئنّين.

أيها الأبطال الشرفاء: يا مَن تدافعون عن هذه البلاد المباركة، وتَحمون حدودها وتذودون عن ثغورها، وتَردعون كل مُعتد يحاول المَساس بأمْنها أو زعزعة استقرارها أو العبث بخيراتها ومقدّراتها، وتَزجرون كلّ من يتطاول على ممتلكاتها ومكتسباتها وحياة الآمنين فيها.

يا مَن حَملتُم أرواحكم على أكفّكم، وجُدتم بدمائكم فداءً لتراب وطنكم وذوداً عن حُرمات ومقدسات المسلمين، يا مَن تدفعون حياتكم ثمناً لواجبكم الوطني والإنساني النبيل، يا مَن تحلّيتم بالصبر والوفاء، وتَجمّلتُم بالإخلاص والولاء، ووقفتُم مواقف الكرامة والإباء، تيقّنوا أن الله تعالى في عونكم وتأييدكم على عدوه وعدوكم؛ فإنكم– بإذن الله تعالى– تَحمون الحرمين الشريفين، مهبط الوحي وقبلة الإسلام ومهوى أفئدة المسلمين.

إن الوطن يعتزّ بوجودكم ومرابطتكم في ميدان العز والشرف والكرامة، دفاعًا عن الدين والفضيلة، ودعْما للحق والسلام، وتعزيزًا للأخوّة والوئام.

كما يفتخر بكم الوطن حين يراكم على ثغرة عظيمة تجتهدون من خلالها في نُصرة المظلوم، وردْع الباغي، وقمع الشر والفساد، وتحقيق الأمن والاستقرار، وحِفظ الوطن من الحاقدين والطامعين الأشرار.

فما مِن مُصلّ يصلّي في جنَبات الحرمين الشريفين، ولا مُعتمر ولا حاج يَقدُم إلى الديار المقدسة، إلا وقد شاركتموه في أجره، بجهودكم وتضحياتكم وشجاعتكم، علاوة على ما خصكم به المسلمون من دعاء في صلواتهم وسجداتهم، فقد جعلكم الله لقاصدي الحرمين وساكنيهما حِصنا أمينا، ودرعا متينا، وسياجا منيعا، فلولاكم بعد فضل الله وإنعامه؛ لما أقيمَت في المساجد الصلوات، ولما هنأَت النفوس بالعبادات، ولتعطلَت مصالح الناس في شتى المجالات، ولتجرأ علينا الأعداء والحاقدون من مختلف الجهات.

فطيبوا نفسًا أيها المجاهدون الأبطال، وقَرّوا أعينًا بما أنتم فيه من عزّ وشرف وإباء، وأبشروا بهذا العمل العظيم في حِفظ أمن واستقرار بلاد الحرمين الشريفين، فبالله تصولون، وبه تجولون، وبعونه ونصره وتأييده تقاتلون، فالله عضدكم وسَندكم، وهو نصيركم ومُعينكم، فنِعم المولى ونِعم النصير.

أسأل الله تعالى أن يسدد رميكم، ويثبّت أقدامكم، ويربط على قلوبكم، ويبارك سعيكم، ويكتب أجركم، ويَجمعكم بأهليكم وأحبتكم على أحسن حال، ويوفقكم لنصرة الدين وحماية الوطن، ويجعلكم ذخرا لأوطانكم وقيادتكم ومجتمعكم وأهليكم، وينصر بكم الإسلام والمسلمين، ويردّ عنا وعنكم وعن بلاد الحرمين الشريفين وبلاد المسلمين جميعا كل شر وسوء.

حَفظ الله قيادتنا الرشيدة، وأدام على بلادنا نعمة الأمن والرخاء والاستقرار.

التضليل: سلاح الإسلاموفوبيا

بقلم: الزبير مهداد - المغرب

تعتمد الخطابات التي تروجها الجماعات والحركات المتطرفة على التضليل، توظفه في سياق أنشطة الاستقطاب الأيديولوجي وغسيل الأدمغة، لاستمالة عقول الجمهور ومحاكاة انفعالاته العاطفية عبر أدوات التلاعب النفسي والاستدراج البلاغي والإغواء الديني.

وقد تصدت للحركات المتطرفة في البلاد الإسلامية كل الحكومات والمؤسسات مدعومة بالمثقفين والعلماء المسلمين، فقابلت أغاليطها بالكشف والتصحيح، وأفلحت إلى حد كبير في الحد من مخاطر هذا الخطاب، إلا أن عدة مؤسسات صحفية وإعلامية تعتمد على التضليل لنشر الإسلاموفوبيا، ولم تجد من يتصدى لها، ما جعل ظاهرة الإسلاموفوبيا تعرف انتشارا متزايدا.

ففي خضم استفحال وباء كورونا، نشرت صحيفة "أخبار ساليزبورغ" النمساوية ضمن تقرير إخباري يوم ٨ يناير، صورة لامرأة ترتدي حجابًا، مع تعليق حول استفحال انتشار وباء كورونا، رابطة في ذهن القارئ بين الإسلام وتفشي الوباء، على الرغم من أن المسلمين كانوا من أكثر الطوائف إقبالا على التلقيح لوقف العدوى.

وخلال الأسبوع الأخير من يناير ٢٠٢٢، نشرت صحيفة صنداي تايمز عدة مقالات عن نصرت غني، وزيرة النقل البريطانية، التي أقيلت من منصبها الوزاري في مطلع عام ٢٠٢٠، تؤكد أن إسلامها "أثير باعتباره قضية"، وأن وضعها "كوزيرة مسلمة" جعل زملاءها غير مرتاحين، شكًا في إخلاصها للحزب.

إن التضليل الذي تعتمده الإسلاموفوبيا، يشكل عنصرا هاما في بنية الخطاب الإسلاموفوبي، يوظف في تعبئة الناس من خلال إثارة الانفعالات العاطفية فيهم والتلاعب بها، فهذا الخطاب يتوسل بالعاطفة لتحريك المشاعر، وكسب تعاطف الناس، وتحريضهم على الخصوم المتوهمين. ويتم استدعاؤه عبر الآلة الإعلامية والمقتضيات السياسية المحلية كالانتخابات وغيرها، لأجل استقطاب تعاطف وأصوات العامة.

والعوامل المتحكمة في رسوخ الإسلاموفوبيا وانتشارها كثيرة، منها ما يتعلق بالجهة التي تروج لها، ومنها ما يتعلق بالذين يصدقون الأضاليل.

ترويج التضليل

إن شبكة الإسلاموفوبيا تتألف من عدة حلقات مترابطة:

١. إنها عمل مؤسسي تسهر عليه هيئات منظمة، تتوفر على هياكل تراتبية، عملها منحصر في تغذية الكراهية ونشر المغالطات.

٢. هذه المؤسسات، تمتلك التمويل الكافي للوفاء بالكلف المالية للعملية، في شكل مؤسسات خيرية، أو مداخيل أنشطة، أو غيرها.

٣. وتتوفر المؤسسة على "علماء" أو "خبراء" أو "باحثين" مزيفين، لا يتورعون عن إصدار الآراء أو إنتاج "أبحاث" يروجون من خلالها لمغالطاتهم. تخلصوا من الالتزامات الأخلاقية التي تمليها عليهم صفة المثقف، وتخلوا عن ضمائرهم وباعوا عقولهم للممولين والسياسيين.

٤. وهذه الأضاليل، تعتمد إطارًا غير علمي، لكنها تصاغ في قوالب ثقافية، توحي بموضوعيتها وعلميتها، وتروج بواسطة قنوات اتصالية، مواقع في شبكة الإنترنت، أو شبكات الاتصال الاجتماعي، أو الإذاعة والتلفزيون، والمجلات المطبوعة والكتب أيضا. وتكون هذه الأغاليط القاعدة الفكرية التي تبنى عليها حلقات الإسلاموفوبيا، ويتبناها السياسيون.

يذكر باسكال بونيفاس في كتابه "المثقفون المغالطون" أن بعض الدول ترى أنها تحتاج عدوا مشتركا لأجل تقوية العلاقات بينها، وفي هذا السياق نشأت فكرة صدام الحضارات المخادعة والمضللة، التي تتأسس على نظرية المؤامرة، وتهدف إلى تقوية مركزية الحضارة الغربية، وتهميش باقي الحضارات، وقد لقيت الفكرة ترويجا إعلاميا ضخما.

الأخبار والمعلومات التي يروجها دعاة الإسلاموفوبيا

تلقى قبول متلقيها الذين يسهمون بدورهم في ترويجها، لتدعم اعتـــدادًا بالنفس، وتضخمًا للأنا، واعتزازا بالرأي، يبلغ حد التحجر أحيانا، ورفض الرأي الآخر.

تصديق الأضاليل

كان مـــن المأمول فـــي العصر الحالي، مع انتشـــار التعليـــم، والتدفق الحـــر للمعلومـــات، أن تتجه البشرية نحو شكل من أشكال الحكمة الجماعية، إلا أن تضافر أسباب كثيرة، جعل الناس أقرب إلى السذاجة الفكرية، ونبذوا الحكمة وراء ظهورهم.

النشر الواسع للمعلومات أمر إيجابي للمعرفة، وهـــذه النظـــرة المتفائلة، تفترض أن المنافســـة ســـتكون بين المعرفة المنهجية والمعتقدات، فمن المفـــروض أن تتغلـــب المعرفة المنهجيـــة، إلا أن الواقع يخيب الظنون الحسنة، لأن الناس عموما ينحازون إلى تأكيد الأخبار والمعلومات التي تقوي معتقداتهـــم وتديمها، وتســـاعدهم الشـــبكة بحجب المعلومـــات الحقيقيـــة، بوضعهم داخل "فقاعة المرشح".

فالنـــاس يميلون إلى تفضيل المعلومات التي تؤكد معتقداتهم وتنسجم معها، حتى لو لم يتأكدوا مـــن صحتها، وعلى هذا الأســـاس يتـــم البحث عن المعلومـــات والأخبار، فيبتعـــدون بالتالي عن المعـــارف المنهجية التي تتعارض مع أفكارهم، لأن اســـتيعابها يتطلب منهم جهدًا عقلياً، وأساسًا متيناً من التكوين، وقدرة علـــى فرز الكم الهائل مـــن المعلومات المتاحـــة وفحصها، فـــي حين إن معتقداتهـــم تقبل الحلول التي تناســـب قواعد تفكيرهم الساذج. فالكسل الفكري لمستعملي الشبكة الذي رســـخته التكنولوجيا الحديثة، هو سبب "السذاجة الفكرية" و"الانحياز التأكيدي" بحســـب رأي عالم الاجتماع الفرنسي جيل برونر في كتابه "ديمقراطية الســـذج". الـــذي يؤكد أن التحيـــزات المعرفيـــة التي لا تعـــد ولا تحصى هي التي تقـــود الجميع إلى إصدار أحكام متحيزة حول المعلومات من حولهم.

وهـــذه المعلومـــات تُعامَـــل معاملـــة تفضيلية، ويُنظَر إليها بمراعاة تأثير الخلفية العقدية، ونظرة دعاة الإســـلاموفوبيا هؤلاء تكون منحازة للفهم الثقافي المتحكم فيهم، بغض النظر عن الأدلة أو البراهين الموضوعية المرتبطة بالقضية.

دور تكنولوجيا الإعلام

تســـتخدم محركات البحث ما يســـمى "فقاعة المرشـــح" في تحديـــد نتائـــج البحـــث المعروضة للمســـتخدمين، فالخوارزميـــات التـــي تعتمدها محركات البحث تمكنها من تخمين المعلومات التي قد يفضلها المســـتخدم، بناءً على البيانات التي تخص المســـتخدم، منها موطنه، ســـنه، جنسه، سجل بحثه الشخصي، وسلوكيات النقر الماضية وتاريـــخ البحث، وشـــعبية الموقع، وغيـــر ذلك من البيانات التي جمعهـــا المحرك عن الباحث، ونتيجة لذلك، يعرض المحرك المعلومات والمواقع التي يختارها للباحـــث بترتيب خاص، ولا يولي اعتبارًا لمصداقية الموقع ولا لصحة الأخبار، وبذلـــك يمارس الإنترنت توجيهًا خاصا للمستخدم، ولا يمكنه الوصول إلى المعلومات والصفحات والمنتديات التي لا تتفق مع وجهات نظره وحساسياته السياسية والعقدية، وهو ما يعزل المســـتخدم في فقاعاته الثقافية أو الفكرية الخاصة. فمحتويات شبكة الإنترنت التي تشكل سوقا معرفية واسعة الانتشار، تنقصها

المصداقيـــة، وتفتقد إلى النزاهـــة، فهي منحازة بشـــدة إلى المعتقدات الخاطئة التي تتعارض مع المعارف المنهجية.

جعل الإنترنت العالم يعيش أزمة حقيقية، فتوفر المعلومة بسهولة ونشر الخبر بسرعة عمل مفيد فـــي حد ذاته، إلا أن هذا الكـــم الهائل من الأخبار ليس كله صحيحا، فإمكانية الانتشـــار الســـريع والواســـع أكســـب الأخبار الزائفة حضـــورًا غير مســـبوق في حياتنا، وأصبحت علنيـــة، اجتاحت الفضـــاء العام، تفرض نفســـها بقـــوة على كل مستعمل للشبكة. وكسبت كثيرًا من المصدقين بها، المدافعين عنها، المتحمســـين لها، ما مكنها من التضييق على نشـــر وتداول الأخبار الصادقة والمعلومات الحقيقيـــة، وأصبحت بالتالي تؤثر في صناع القـــرار في العالم، من خلال تحريك المؤمنين بها المؤثرين بعددهم في الاختيارات السياســـية للبلدان.

المخاطر

منذ أحداث ١١ ســـبتمبر الأليمـــة، روجت بعض الجهـــات معلومـــات مضللـــة كثيـــرة وخطيرة، أسهمت في تأجيج ظاهرة الإسلاموفوبيا ونشرها وتقويتها، ما أدى إلى أحـــداثٍ أليمة أضرت بكثير من المسلمين في بقاع عديدة في العالم.

فالعديد من التحليلات والتفســـيرات هي مجرد سلســـلة من المغالطات، ترعاها فلسفة تبريرية يتبناها العديد من المثقفين والإعلاميين، وترعاها المؤسســـات، أدت إلى اتهام ديانـــة كاملة، وظلم معتنقيها، ما أدى إلـــى توليد ردود فعل متطرفة أخـــرى أحيانا. فتحولت السياســـات التي وضعت لمحاربـــة الإرهاب عامـــلا إضافياً لصناعته، ونشـــر العنصرية.

هذا المناخ الفكري يظهر أحيانًا بوصفه وســـيلةً للضغط على المســـلمين في الأخبار، وأحيانًا في الأماكن العامة، لأنه لم يعد إيديولوجيا هامشية راديكالية، بل "أصبح شكلا من أشكال العنصرية المقبولة". فتعرض المسلمون لاتهامات، وسلسلة من التهديدات، ووقعوا ضحية مغالطات وأحكام مســـبقة، بحيث يصبح أي انفجـــار في أي بقعة في العالـــم فرصة لاتهام المســـلمين. إن أول من يتهم المســـلمين إثر أي عملية، هم الشـــعبويون والعنصريـــون في الإعلام الدولـــي. وأول من يدين تلك العملية المســـلمون تجنبًا لإلصـــاق التهمة بهم.

فوفرة الأخبـــار والمعلومات المضللة، تلين مواقف الناس نحوها، حتى لو كانوا يدركون أنها مغلوطة ومضللة، فالوفـــرة والتكرار تجعـــلان الأفراد أكثر ليونـــة نحوها وقابلية لتصديقهـــا وقبولها. كما أن عامل الانتماء يســـهم بشـــكل قوي في قبول الأفكار المضللة، لأن قبولها يســـاعد الأفراد على الإحساس الداخلي بالانتماء إلى الجماعة والقرب منها، ومشـــاركتها الإحســـاس، ما يخلق شعورًا بالرضا، ينبع من الإحســـاس بأن الجماعة تتصرف مثله، وتسلك نفس الســـلوك في مواجهة هذه القضايا. فالوفـــرة والتعود والانتماء تســـتغلها الجماعات المضللة لنشـــر الوعي الزائف، وتغييب شـــعورها، ومحاصرتهـــا بالوهـــم، وحرمانها من الحقيقة.

سبل التصدي

لعـــل أول خطوة نحو التصـــدي للظاهرة تحديد تعريف دقيق للإســـلاموفوبيا، فتعريفاتها كثيرة

ومختلفة، ما يجعل مكافحتها أمرًا صعبا. كما أن التعريف الدقيق الذي يقع عليه الاتفاق، قد ييسر السبل نحو مراقبتها، ورصد مدى انتشارها في الثقافات والأوساط الرقمية وغيرها، ما يمكن من محاصرتها، بل ووضع تشريعات لمحاربتها.

ثانيا تصحيح الوعي الجماعي لمحاصرة الظاهرة بتعزيز العقلانية، والنزاهة الفكرية، والكشف للناس عن التحيزات المعرفية التي تؤثر على أحكامهم. وذلك ممكن من خلال الصحفيين وصناع المحتوى والكتاب والأساتذة والمربين، وسائر المؤثرين، فهم القادرون على ترسيخ الذكاء والعقلانية. إلا أن أنانية بعض الفاعلين قد تشكل العصا التي قد توقف عجلة التصحيح، لأن الأنانيين لا يعبؤون بشيء سوى مصلحتهم ومكاسبهم المالية مما يروجون من تدوينات، حتى لو كانت فاقدة للمصداقية.

ثالثا إن مقاومة الأضاليل عملية صعبة، لأنها لن تتوجه إلى التصدي للآخر فقط، بل للذات أولا، عن طريق تقديم الإسلام في أحسن صورة تنعكس على الهيئة والسلوك والأخلاق والمشاركة الاجتماعية، وتفاعل المسلمين الإيجابي مع غيرهم وانفتاحهم عليهم خلال المناسبات الدينية الإسلامية وغير الإسلامية. إن النشاط الدعوي الذي تنقصه الخبرة والبصيرة قد يقدم الإسلام في صورة دين إقصائي منافس للمعتقدات الأخرى، ورافض للفكر والثقافة الغربية، ونمط الحياة المعاصرة، ولا مكانة في ظله لفكر مختلف عنه، وهذا يصعد من نظرية المؤامرة والصدام الديني، ما يشعر المواطن الغربي بالطابع الهجومي للإسلام، والخوف منه، والحرص على حماية الذات الجماعية الغربية، والنضال من أجل استبعاد أي فكر مختلف عنها، مهدد لتماسكها.

إن كثيرًا من المثقفين، وبدعوى الحياد، أو خوفا من ردود الفعل، لا ينخرطون في محاربة السلوكيات الرديئة التي اعتاد عليها العامة، وهذا يسهم في إدامة الوضع. فالمثقف يجب أن ينخرط في النقاش لتصحيح الأفكار وتنوير الناس، وتصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام، والتصدي لتأثير مثقفي الشاشة، فمثقف الشاشة هو مثقف مقاولات يستحضر مادة لتجميل القبيح وتزوير الحقائق، أما المثقف الحقيقي فينشر الثقافة التنويرية، والتصدي للأضاليل قدر المستطاع، بإنتاج المحتوى وتصحيح المعلومات، وإخماد الصراعات الوهمية.

كما ينبغي إنشاء عدة هيئات لرصد مؤشرات ومظاهر الإسلاموفوبيا، ولتتبع التغليط والتصدي لها بالرد والتصحيح والتوضيح، وتكريم وتشجيع محاربي التغليط من الأطراف كافة، وإحداث جوائز عالمية لذلك.

ومعول على تنزيل مقتضيات "وثيقة مكة" والالتزام بمضامينها التي تنص على تأصيل قيم التعايش والحوار بين الأديان والثقافات في العالم، ومحاربة الإسلاموفوبيا، وتصحيح المغالطات والأضاليل، رغبة في التأسيس لمرحلة جديدة من العلاقات بين المسلمين وبقية شعوب العالم، قائمة على الحوار، وتجاوز معوقات التعايش؛ والتصدي لكل أسباب الصراع والصدام المفضي إلى نشر وترسيخ الكراهية، واستنبات العداء بين الأمم والشعوب، ويحول دون تحقيق مطلب العيش المشترك في أمن وسلام.

الوجود الإسلامي في
بلجيكا

بقلم: د. سعيد الخوتاني

لم يكن لبلجيكا تاريخ استعماري في البلدان العربية والإسلامية مثل الدول الأوروبية الاستعمارية الأخرى. لذلك فإن علاقة بلجيكا بالإسلام بدأت في أراضيها نفسها عندما تم تسجيل أعداد قليلة من المهاجرين المسلمين إليها رسميا عام ١٨٢٩م، أي قبل عام من نيل استقلالها من هولندا في أكتوبر عام ١٨٣٠م. وعليه فإن عمر وجود المسلمين فيها يمكن تقديره بما يقارب القرنين (أكثر من ١٩٠ عاماً).

ولكن تزايد المسلمين الملحوظ أخذ في البدء بعد الحرب العالمية الثانية، فعددهم الذي كان مقدراً حينئذ بحوالي ٨ آلاف مسلم معظمهم من ألبانيا وتركيا والمغرب أخذ يتزايد تدريجياً خلال ستينيات القرن العشرين الماضي ليصل في عام ١٩٧٣م إلى حوالي ١٤٠ ألف مسلم، مضافاً إليهم بضعة آلاف من المسلمين البلجيكيين الأصليين.

ويعزى هذا التزايد في أعداد المسلمين إلى موجات المهاجرين المسلمين الذين وصلوا إلى بلجيكا خلال الستينيات نتيجة لاتفاقياتها لجلب مهاجرين مع عدد من الدول الإسلامية، حيث اتفقت مع المغرب وتركيا في بداية الستينيات، والجزائر وتونس في نهايتها.

وقد مهدت هذه الاتفاقيات وما نتج عنها من هجرات لظهور الأجيال الأولى والثانية والثالثة من المهاجرين المسلمين في بلجيكا. وكان المهاجرون المسلمون غالبًا ما يعملون في الأعمال الصعبة التي لا تتطلب مهارات كبيرة أو لا تجذب البلجيك، مثل استخراج الفحم وتصنيع الفولاذ وصنع السيارات.

وقد استفاد المسلمون من إنفاق الدولة عبر حكوماتها الفيدرالية والإقليمية والبلدية المحلية على العديد من الأغراض الدينية مثلهم مثل نظرائهم من أتباع الديانات الأخرى المعترف بها في بلجيكا، وشملت تلك الأغراض الرواتب التقاعدية وأجور الأئمة وإعانة المجتمعات، وبناء وترميم المساجد والتعليم الديني، وتحمل أجور معلمي التربية الإسلامية.

ورغم المرتبة الرفيعة التي يحظى بها الإسلام كثاني دين في بلجيكا، يبدو من الصعب العثور على بيانات موثوقة عن المسلمين في البلاد لأنه لم يعد يتم السؤال عن الانتماء الديني في الإحصاءات الوطنية عند القيام بها.

وعلى أي حال فإن بعض أحدث المصادر لعام ٢٠٢١م يقدر عدد المسلمين في بلجيكا بحوالي ٨٧٩ ألف مسلم من مجموع سكانها البالغين ١١,٦٦٨ مليون نسمة. ويتوزع المسلمون بشكل متفاوت في أنحاء البلاد مع تجمع غالبيتهم في أحياء الطبقة العاملة لمختلف مدنها. فتقريبا يعيش ٤٠٪ منهم في العاصمة بروكسل، بينما يعيش حوالي ٣٩٪ منهم في إقليم الفلاندرز، وحوالي ٢١٪ منهم في إقليم وولونيا.

ومثل الصعوبة الموجودة في الحصول على إحصاءات دقيقة عن المسلمين في بلجيكا، فإن هناك صعوبة مماثلة في معرفة أعداد مساجدهم، فبعض المصادر تقدر هذه المساجد بحوالي ٢٣٠ مسجدا في حين تقدرها مصادر أخرى بحوالي ٧٠٠ مسجد. ومن المعتقد أن كثيرًا من تلك المساجد غير معترف بها لأنها عبارة عن أماكن صغيرة غير مصممة كمساجد بل تستخدم كمصليات.

ومهما يكن، فقد تم حتى ٢٠٢٠م رصد حوالي ٣٠ مسجدًا لخدمة المسلمين في العاصمة بروكسل وإقليمها محور هذا التقرير، منها ٢١ مسجداً تعترف بها السلطات المحلية و٩ مساجد لا تزال في طور الاعتراف.

اسم محمد في الصدارة:

ولعل من المؤشرات المهمة للوجود الإسلامي في هذا البلد، تصدر اسم (محمد) أسماء المواليد الذكور، وقد جاء في المركز الأول في بروكسل عاصمة مملكة بلجيكا، وقلب الاتحاد الأوروبي في العام الماضي ٢٠٢١م. وسبق الاسم بهذا التصدر أسماء غربية شائعة مثل جان وديفيد ودانييل، وذلك طبقا للإحصاءات الصادرة من مكتب الإحصاءات البلجيكية في مطلع العام الحالي ٢٠٢٢م.

ولم يقتصر تصدر اسم محمد الأسماء الغربية فقط، وإنما تصدر أيضا الأسماء العربية التقليدية بنسبة ٤٣٪، في قائمة (الأسماء العشرة الأكثر انتشارا Top Ten) للمواليد الجدد في بروكسل لعام ٢٠٢١م. ولم تكن هذه المرة الأولى التي يتصدر فيها اسم محمد أسماء المواليد الذكور الجدد في بروكسل، فقد تصدرها أيضا في عام ٢٠١٧م.

إرادة ثلاثة ملوك:

ولعل أشهر مساجد العاصمة بروكسل وإقليمها هو المسجد الكبير The Grand Mosque of Brussels، الذي يستحق تسليط بعض الأضواء عليه لما كان له من دور رمزي وفعلي مؤثر في حياة

المسلمين في بروكسل خاصة وبلجيكا عامة لأربعة عقود تقريبا.

وكان هذا الدور ثمرة لروح الصداقة والتعاون المخلص الذي قام ولا زال بين المملكة العربية السعودية وبلجيكا، وهي روح نبعت من إرادة ثلاثة من ملوك هذين البلدين، لخدمة الإسلام والمسلمين في بلجيكا.

يقع المسجد الكبير في أحد أجمل المناطق في العاصمة البلجيكية وهو حديقة الخمسينية الواقعة على بعد حوالي نصف كيلومتر من مقر الاتحاد الأوروبي.

وكان المبنى الذي يشغله المسجد قد بني أصلا عام ١٨٧٩م كجناح عرض لشركة إسترو- بلجيان بانوراماز. ولأن المبنى كان قد بني من مواد قوية مقاومة لعوادي الزمن، تقرر أن يصبح ملحقًا للمتحف الملكي لفنون الزخارف والصناعات الحرفية. ولكن إهمال صيانته خلال العقود السبعة الأولى للقرن العشرين أدى لتدهوره تدريجيا.

وقد انتهز ملك بلجيكا آنذاك الملك بودوان مناسبة زيارة ملك المملكة العربية السعودية الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود لبلده عام ١٩٦٧ فعرض عليه المبنى بإيجار مجاني لكي يستخدم مقرًا لمركز ثقافي إسلامي ومسجد.

ويبدو أن الملك البلجيكي أراد أن يصيب بعرضه هذا ثلاثة عصافير بحجر واحد. الأول تعزيز العلاقات البلجيكية السعودية الطيبة. الثاني حماية المبنى من تدهور أكثر. الثالث الاستفادة من المسجد والمركز لتسهيل دمج المجتمع الإسلامي الآخذ في النمو نتيجة لاستمرار قدوم مزيد من المسلمين المهاجرين إلى البلاد.

وقبل الملك فيصل العرض، بما كان يتمتع به من بصيرة وحكمة سخرها لخدمة الإسلام والمسلمين، وقرر أن تقوم السعودية بتمويل كافة أعمال البناء والترميم في المبنى لتحويله إلى مركز إسلامي ومسجد. وأدى هذا القبول إلى التمهيد لتطورين مهمين على الساحة الإسلامية في بلجيكا.

الأول اتخاذ المبنى مقرًا لائقاً لأحد أكبر الهيئات الإسلامية في البلاد وهو المركز الثقافي الإسلامي في بلجيكا The Islamic Cultural Center of Belgium (ICCB)، ولقلبه النابض المسجد الكبير ببروكسل Grand Mosque of Brussels، الذي تم الاعتراف به كأول مسجد في بلجيكا.

الثاني اعتراف بلجيكا State Recognition بالدين الإسلامي دينًا رسميًا عام ١٩٦٨م ليصبح الدين الثاني المعترف به في البلاد بعد المسيحية. ولو أن التمثيل الرسمي للمسلمين مع الحكومة لم يتم إلا عام ١٩٩٨م، أي بعد ثلاثين عاماً بسبب الخلافات في أوساط الجماعات المسلمة المكونة للمجتمع الإسلامي في البلاد.

وبعد ترميم المبنى خلال الأعوام ١٩٧٥ - ١٩٧٨م، جرى افتتاح المركز مع المسجد عام ١٩٧٨م من قبل الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود في احتفال مهيب حضره الملك البلجيكي بدوان مع حشد كبير من كبار الشخصيات الحكومية والقيادات الإسلامية في البلدين.

وقد أسندت الحكومة السعودية الإشراف على هذ المركز والمسجد لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. وقد استمر إشرافها عليه مدة أربعة عقود حتى عام ٢٠١٨م. وتضمنت أعمال الإشراف تحمل النفقات العامة ومخصصات الميزانية السنوية وإدارة الأنشطة الأساسية. وشملت هذه الأنشطة إقامة الصلوات اليومية وصلوات المناسبات (الأعياد والجنائز وغيرها)، واستضافة المناسبات الدينية والاجتماعية، والإرشاد الديني وتدريب الأئمة ومعلمي المواد الإسلامية وتوعية عموم المسلمين، والعناية بالمسلمين الجدد.

إن وجود مجتمع إسلامي متنام مع مؤسسات إسلامية قوية مثل المركز الإسلاميً والمسجد الكبير في بروكسل في بلجيكا، يسهم بفعالية في توعية المسلمين وتعليمهم.

التربية بالحب
في الإسلام

بقلم: أ.د. آمال محمد حسن عتيبة

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

الحب في الإسلام حب متوازن يضم في إطاره الدنيا والآخرة، كما هو شأنه في الأمور الأخرى العظيمة؛ فهو مهم لبقاء الإنسان وسبب من أسباب سعادته وعنصر من عناصر الطمأنينة في قلبه، وهو ذلك المعنى السامي الشريف الذي لا تقوم الحياة السعيدة إلا بمقومات مهمة، أحدها ذلك الحب.

فالإنسان كما هو عقل وإرادة، فهو أيضاً مشاعر وعواطف ووجدان، وهو نفس وروح، كما هو جسد وأجهزة مادّية، تعمل وفق قوانين بيولوجية وفسيولوجية. والحبّ حالة نفسية وعاطفية تنبع من أعماق الإنسان لتمنحه السعادة والهناء، وربطه بالمحبوب ارتباط الانسجام والرِّضى والتوافق، حتى يكاد المحبّان أن يتّحدا، إذا ترسّخ الحبّ، وتحوّل إلى شعور باحتواء المحبوب؛ فيشعر المحبّ، فيما وراء الوعي أن لا اثنينيّة بينهما،

فهمـــا حقيقة واحدة، وذاتـــان مندمجان في ذات النفس. والحـــبّ هو رابطة روحية، وإحساس نفسي، وشعور وجداني يعيش في أعماق النفس.

والقرآن الكريم يقوم على الحب في أوامره ونواهيـــه، وتشـــريعاته وقصصه، ودعوته للخير، والألفة والمحبة، وهو دســـتور يتخذه الإنسان إماماً ومرشـــداً ليحيا حياة حرة كريمة لا يشوبها حقد، ولا يمزقها بغض أو تعبث بها الأهواء.

ولفظ الحب من الألفاظ كثيرة الدوران في كتاب الله تعالى، وهـــو أيضاً من الألفاظ التـــي وردت كثيراً في أحاديث رســـول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضلا عن الألفاظ الأخرى التي تفيد دلالات الحب.

وهو في القرآن والســـنة نوعان: حب الله تعالـــى للعبـــاد، وحب العبـــد لله تعالى. ومصدر هذين النوعين من المحبة في قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُـــمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]. فالحب والرضا المتبادل بين الصلة الحقيقية بـــين العبد وربـــه، ومنـــه تشـــتق كافة التعاملات الإنســـانية التي تتخذ القرآن منهجاً للتعامل بين الأفراد والجماعات.

والحب، والمحبة معنى نفسي روحي مغروس في أعماق النفس البشرية مخلوق معها، وجزء من تركيبتها الوجدانية العاطفية، لا يستغني الإنسان عنه، كذلك هو مهم للتربية في الأســـرة والمجتمع؛ فما أروع أن تكون التربية الإســـلامية تربيـــة بالحب، فهذا نبينا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتضن برســـالته الإنسانية كلها؛ وذلك مـــن خلال الحب، وجاء نبياً للأمة ورســـولاً لله رب العالمين، الذي إذا أحب عبداً نشـــر محبته بين ملائكتـــه وخلقه. وعلى كثرة الأعباء، وتعدد المهام الجِسَام لرســـولنا الكريم محمد صَلَّـــى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ، كما فـــي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَـــا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَـــلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّـــرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَـــى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِـــرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] نجد اهتمامه الكبيـــر صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ فهو خيرُ من دعا، وخير من رَبى، وخير من أدب وعلّم.

ولم تكن مفاهيم الحبّ قيماً فلســـفية مجرّدة، بل جسّدها الإسلام منهجاً عملياً يســـتوعب قلب الإنســـان وروحه وعقله وحسّـــه ونشـــاطه وغرائـــزه. فالحبّ في الإسلام هو: (حبّ الله، حبّ الوالدين، حبّ الزوجة، حبّ الأبنـــاء، حبّ الوطن والأرض، حبّ الناس، حبّ الجمـــال، حبّ الطبيعة، حبّ العلم، حـــبّ الخير.. إلـــخ). ومن حبّ الله يبدأ الحبّ في الإســـلام. وضّح القرآن هذه الحقيقة الجوهرية في عمق الإسلام، بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُـــمُ اللَّه﴾ [آل عمران: ٣١]. وحبّ الله في الإســـلام يعني حـــبّ المؤمنين بالله، وحبّ الخير للبشـــرية، وحبّ الخير والكمال فيما يفعل الإنسان وفيما يقول ويعايش.. وفلســـفة الحـــبّ الإلهي، هي فلســـفة العشق الذي ملأ عالَم الموجودات فشدّها إلى المبدأ، وشوّقها في حركة المادّة والروح للبحث والســـعي نحو الكمـــال.. فصنع روحاً بشـــرية توّاقة إلى الحبّ والبحث عن

الجمال في عالَم المحسوس، وعوالِم القيم والاعتبار.. كما يتجلّى مبدأ الحبّ الإلهي في الخطاب القرآني، وقد ملأ الحياة بعد أن ملأ القلوب والنفوس، وحبّ الله حصانة للنفس البشرية من النزوع إلى الجريمة والعدوان، وتطهير للنفس والوجدان من الحقد والكراهية للحقّ والخير والجمال.

وقد احتوى القرآن والسنة أسمى وأروع أمثلة الحب في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ووردت هذه المفردة (الحب) على أكثر من معنى؛ فقد جاء في الكتاب والسنة أنّ الله تعالى يحب أفعالاً معينة، كما يحب كلاماً معيناً، ويحبّ بعض خلقه الذين اتصفوا بصفات خاصة بيّنها سبحانه وتعالى. وما أخبرنا بذلك إلا لكي نبادر إلى الاتصاف بما يحبّه من الأخلاق، والقيام بالأعمال التي يحبها، والإكثار من ذكر الكلام الذي يحبه، وبذلك يحبنا سبحانه وتعالى. "إنّ الله يحبُّ المتّقين" (التوبة: ٤)، (والله يحبُّ المحسنين) (آل عمران: ١٤٦)، (إنَّ الله يحبُّ التَّوّابين ويحبُّ المتطهّرين) (البقرة: ٢٢٢)، (والله يحبُّ الصَّابرين) (آل عمران: ١٤٦)، (إنَّ الله يحبُّ المقسطين) (المائدة: ٤٢) (إنَّ الله يحبُّ المتوكلين) (آل عمران: ١٥٩)، (إنَّ الله يحبُّ الَّذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنَّهم بنيانٌ مرصوصٌ) (الصف: ٤). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضُرّك بأيهن بدأت). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشج بن عبد القيس: (إنّ فيك خَصلتين يُحبهما الله: الحلمُ، والأناةُ).

وعلى أساس الحبّ يؤسِّس الإسلام الأسرة، فعلى أساس الحبّ تُبنى العلاقة بين الزوجين، وبين الآباء والأبناء. وأصدق ما يجسِّد هذه الروح هو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُم أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]. والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الرجل إلى أن يُشعِر زوجته بالحبّ ليثبت في قلبها. إنّه يصوِّر عطاء تلك الكلمة الخالدة بقوله: "قول الرجل للمرأة: إنّي أحبّك، لا يذهب من قلبها أبداً". وفي بحبوحة الأسرة يتحرّك الحبّ، فيملأ قلوب الأبناء، كما ملأ قلوب الآباء. إنّ رسالة الإسلام تدعو الآباء إلى تربية أبنائهم على الحبّ، فالحبّ حاجة نفسية يؤدّي فقدها أو نقصها إلى أمراض وحالات نفسية خطيرة؛ لذا دعا الإسلام إلى التعامل مع الأبناء بروح الحبّ، وإشعارهم بتلك العواطف والأحاسيس، لينشؤوا على حبّ الآباء، وحبّ كلّ من حقّه أن يعامل بهذه العاطفة. ويؤكِّد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حبّ الأبناء ليؤسِّس في النفوس تلك العواطف الجميلة. ولكي يتحوّل الإحساس بالحبّ علاقة حسِّية بين الآباء والأبناء يدعو الرسول صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآباء إلى تقبيل أبنائهم، فإنّه إشعار عملي للآباء والأبناء برابطة الحبّ. ولقد فطر الله سبحانه وتعالى الوالدين على محبة الأبناء، وجعلهم ثمرة الفؤاد وقرة العين وبهجة الروح، بل إن المولى عز وجل مدح أولياءه في كتابه العزيز بأنهم يدعون الله ويتضرعون إليه أن يقر أعينهم بالولد الصالح، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]. فهذه المحبة مصدر الأمن والاستواء النفسي للأبناء، كما أنها القاعدة الصلبة لبناء شخصيتهم على الاستقامة والصلاح والتفاعل الإيجابي مع المجتمع من حولهم، ولا يُتصور تحقق هذه الغايات إذا كانت المحبة حبيسة داخل صدور الآباء والأمهات، لا يظهرونها للأبناء ولا يعبّرون عنها قولا أو فعلا، مما يضعف جسور الارتباط بين الابن وأسرته، ويفوت على الطرفين الاستمتاع بهذه العاطفة الرائعة.

ولقد احتوى القرآن الكريم على الصور الجينية للحياة الأسرية السليمة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١]. والتعبير بـ "نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ" تأكيد من الباري تعالى على الارتقاء بمشاعر الحب حتى ينصهر كل واحد منهما بالآخر. فيصبح كلا الزوجين نفسا واحدة، يهم الواحد ما يهم الآخر، يفرحه ما يفرح الآخر ويشجيه ما يشجي الآخر.

وهذه قصة يعقوب (عليه السلام) الذي أشجاه غياب ابنه يوسف (عليه السلام)؛ إشارة ثانية إلى حب نبيل يعيشه الوالد تجاه ولده الذي اختصه وأخاه بالمزيد من الحب، كما وأنه كان يحب سائر أبنائه، فلم يثنه طول البعاد ولم يفقده الأمل؛ فجذوة الحب الأبوي المتأججة في قلب يعقوب (عليه السلام) أضاءت بصره ثانية حين أتاه البشير بقميص ولده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٦].

كذلك نستشرف عاطفة الأمومة في قصة أم موسى (عليه السلام) حين جاء الأمر الإلهي أن تضع وليدها في صندوق وتلقي به في اليم إنقاذاً لحياته. بعدها يثيبها الله ويعيد إليها ولدها ليكون لها مصدر الأنس والسرور، قال تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه:٤٠].

والحب أيضاً حاجة نفسية تحتاج إلى إشباع باستمرار فكيف تتكون هذه العاطفة التي بتكوينها عند الأم تشبع الحاجة للحب عند الطفل.

دعونا نقف عند حديث قدسي، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي (وما تقرب إلي عبدٌ بأحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها).

في هذا الحديث القدسي عدة قواعد لا بد لنا من الوقوف عندها ...

أولاً "حب الله لأداء عبده للفرائض"

ثانياً "النوافل طريقٌ لتقرب العبد إلى الله"

ثالثاً "تقرب العبد إلى الله بالنوافل مدعاة لحب الله للعبد"

ومن نتائج حب الله للعبد أن العبد يملك عندئذٍ جملة من وسائل التمييز فلا يرى ولا يسمع إلا ما يرضي الله ولا يمشي ولا يفعل إلا ما يرضي الله.

ويتمشى مع موضوعنا، أن ما يقدمه العبد من أداءٍ للنوافل هو الطريق لمحبة الله تباركت أسماؤه.

بمعنى آخر: أن حب الله وهو الغني عن العباد هو نتيجة لما يقوم به العبد من أداءٍ للنوافل.

ويمكن صياغة هذه القاعدة بالآتي: إن العطاء طريق الحب. والعطاء يقدمه العبد والحب من الرب.

مع أن الله تبارك وتعالى غنيٌّ عن أداء كل العباد لفروضهم ناهيكم عن نوافلهم، ولكنها قاعدة أراد الله وهو الأعلم أن يعلمنا إياها وهي: "أن من يريد أن يكسب الحب فليبدأ هو بالعطاء"، أي فليقدم العطاء، عطاء فوق المفروض عليه، عطاء يتعدى الواجب أدائه لله، والنافلة هنا وهي عمل فوق المفروض كانت سبباً لمحبة الله.

وفي موقع آخر يؤكد رب العالمين على لسان من اقتدروا على الحب الحقيقي أن عطاءهم لوجه الله وليس ابتغاء مردود يحصلون عليه من الناس "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكُوراً".

وإذا عدنا إلى علاقة الحب بين الأم وولدها، لتَبيّن لنا أن حب الأم لولدها، مثل النوع الأول من الحب (الحب الحقيقي) الحب الذي لا تبغي الأم من ورائه مردودا أو نتيجة، إنما هو حبٌّ مغروس في أصل خلقتها، إنه حبٌّ فطري جُبلت عليه ولم تتعلمه.

أما فيما يتعلق بالأبناء فالقرآن الكريم ينص على حب الوالدين ويدعو الأبناء إلى حسن معاملتهما وتوفير كامل الاحترام والأمن لهما، حتى ولو كانا على غير دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤].

أما حب الأخوة بعضهم لبعض فخصص له القرآن الكريم حيزاً كبيراً في حياة الإنسان؛ حيث دعا إليه طمأنة لقلوب الأخوة وشد أواصر المحبة وجعلها الرابط الأساس في المجتمع كله. فلما بعث الله موسى (عليه السلام) وناداه من جانب الطور الأيمن آثر أخاه هارون في كل الخير، وطلب من الله أن يكون شريكاً له فيما يقوم به؛ قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه:٣٢].

فالأسرة حسب المفهوم القرآني حصيلة اجتماعية يرسم أطرها الدين الحنيف، ويلون ملامحها بألوان المحبة والرحمة، مما يخفف عنها الضغط الذي ربما تتعرض له مع تقلبات الأحوال والظروف، فيكون "الحب" بما ينطوي عليه من مشاعر التراحم والتواد؛ السكن والأمن والأمان، الحضن الدافئ الذي يلوذ به كل فرد من أفراد الأسرة، فيعم

الأمن والسلام على المجتمع بأسره؛ في ظل هذه المشاعر الربانية الفياضة.

ولأهمية الحبّ كذلك في الحياة، وقيمته في سعادة الفرد والأسرة والمجتمع، اعتبر الإسلام الحبّ قيمة عُليا في رسالته، وهدفاً سامياً من أهدافه، يسعى بشتّى الوسائل لتحقيقه، وتكوينه في النفس البشرية، وإشاعته في المجتمع، وبناء الحياة على أساس الحبّ والمودّة. ويعمل الرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاهداً على أن يشيد المجتمع على أساس الحبّ والولاء في الله، ومَن أحبَّ في اللهِ، وأبغَضَ في اللهِ، وأعطى في اللهِ، ومَنَعَ في الله، فهو من الأصفياء". ويأتي بيان نبويّ آخر ليعمِّق الحبّ في النفوس، ويقيم لغة التخاطب على أساس الحبّ، فيعلّم المسلم كيف يفصح عن حبِّه لأخيه، ليشيع في نفسه الحبّ، ويشعره أنّه في مجتمع يكتنفه الحبّ، ولا مكان فيه للحقد والكراهية. قال صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا أحبّ أحدكم أخاه، فليُعلمه إيّاه". والرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبلِّغ أفكاراً نظرية، ولا فلسفة أخلاقية مجرّدة، بل هو حامل دعوة لبناء الإنسان بناءً عملياً. لذا نجده جسّد قيم الحبّ والولاء تجسيداً عملياً حين طبّق مبدأ المؤاخاة بين المسلمين، فآخى بين كلّ اثنين منهم، وآخى بين نفسه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأصبح المجتمع بعد المؤاخاة صورة للحبّ والأخوّة، وكم تجسّد هذا الحبّ إيثاراً، فقسّم الأنصار أموالهم، قسماً لأنفسهم وقسماً للمهاجرين، وحين تجسّد الإيثار صورة تفيض بالحبّ والمؤاخاة، أثنى الله سبحانه على صورة الحب الاجتماعية تلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر/ ٩].

ولم يكن الحبّ في الإسلام عواطف وأحاسيس وجدانية تربط الإنسان بالله سبحانه، والإنسان بالإنسان فحسب، بل الحبّ رابطة نفسية تربط الإنسان بعالم الطبيعة والأرض والأشياء والجمال. وما أجمل التعبير النبويّ الكريم عن ذلك حين وصف الخالق العظيم بقوله: "إنّ الله جميل يحبُّ الجمال". وكم هو جميل تعبير الرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مشاعر الحبّ في نفسه الكريمة تجاه الأرض والأشياء، وكم هو يسعى في ذلك لأن يصنع من الإنسان روحاً وعواطف تفيض بالحبّ والارتباط مع عالم الطبيعة والأرض. روى كُتّاب السِّيَر ورواة الحديث أنّ الرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسير في أصحابه فطلع لهم جبل أُحُد، فحين رآه قال: "هذا جبل نحبُّه ويحبُّنا".

وأخيرًا بالحب تكون الحياة، ويكون الإنجاز، ويكون الإبداع، وجوه المحبين نقية وضمائرهم تقية وأهدافهم علية، وأفعالهم سخية، بالحب تشرق الحياة وتنتعش الآمال وتتحقق الأهداف وتقطف الثمرات، الحب يورث الإنسان قوة وهمة، بالحب يكون التفاني والتضحية والبذل والعطاء اللامحدود.

وعلى الحب نلتقي دوما بحول الله تعالى.

أمة اقرأ هكذا صنعت الوعي

المكتبات الإسلامية عبر العصور

بقلم صبغة الله الهدوي
محرر مجلة النهضة العربية ـ الهند

منذ أن دوت في غار حراء كلمة اقرأ، لا تزال الأمة الإسلامية تبحث عن كنوز العلم، وتسهر الليالي لمعرفة الحق، وتمخر عباب البحر وتهزم سراب الصحراء بحثًا عن الشيوخ والعلماء. لم تدخر الأمة الإسلامية أي جهد في طلب العلم، بل كانت رفيقة الحروف، وأنيس الكتب، وكانت المساجد تغذي العقول؛ عقول شعراء غنوا بالحب والحرب، وعلماء عاشوا بين الحبر والكتب. هكذا كانت الأمة الإسلامية في ماضيها، منهم من قال "كم يرفع العلم أشخاصًا إلى رتب، ويخفض الجهل أشرافًا بلا أدب"، ومنهم من قال "في ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل". منهم من ولد في كنف الكتب، إنه ابن الكتب، جلال الدين السيوطي، ومنهم من توفي في أحضانها، إنه شهيد الكتب الجاحظ، فبنوا المكتبات التي تضم آلافا من الكتب،

جلبوها من الإغريق والفرس والهند، وترجموها إلى العربية لتنفجر الثورة العلمية الكبرى.

كانت المكتبات الإسلامية تسمى بأسماء مختلفة مناسبة للغة كل منطقة، منها كتب خانة أو كتب هانة كما في التركية، أو دار الحكمة وبيت الحكمة. وتنافس الملوك في اقتناء الكتب وبناء المكتبات، وأولوا اهتمامًا كبيرًا لتحفيز العلماء والأدباء، فتزاحم العلماء والشعراء في البلاط يقدمون بواكير أعمالهم للملوك هدية، فنشأت الحضارة الإسلامية بمحيطها وخليجها، تحتضن العلماء وتربي عقولا راقية وأمة واعية، والتقت بغداد آسيا وفسطاط إفريقيا وقرطبة أوروبا في نقطة اقرأ، واشتهرت شرقًا وغربًا بمكتباتها. ودعنا نتعرف على أهم المكتبات الإسلامية عبر العصور:

مكتبة القرويين هدية أم البنين:

تعد هذه المكتبة من أقدم المكتبات في العالم وأولها في إفريقيا، أسستها فاطمة بنت الفهرية المشهورة بسيدة القرويين والملقبة بأم البنين، كانت بنت أب ثري، بارعة الجمال، وعالية الهمة، ينتهي نسبها إلى فاتح الشمال الإفريقي عقبة بن نافع، ورثت عن أبيها أموالا إلا أنها استثمرتها في إعمار العقول والفكر، وكما قيل: إن إعمار الفكر أفضل وأولى من إعمار الحجر، فأسست أول مكتبة في إفريقيا ولا تزال حية إلى يومنا هذا، وتقوم هذه المكتبة شامخة لتحكي لنا عن أمهاتنا اللاتي أعانن الرجال، وسبقنهم بهمتهن وإرادتهن، إنها أم البنين، صاحبة مكتبة القرويين. وتضم هذه المكتبة نوادر الكتب العربية والمخطوطات، فمن أهمها "مقدمة ابن خلدون من القرن الرابع عشر الميلادي"، والمصحف الذي كتب في القرن التاسع الميلادي، وقد درس فيها العالم الصوفي الشيخ ابن العربي، كما كان لابن خلدون حضور فاعل في هذه المكتبة، فرغم تقلبات العصر وتغيرات المناخ التي تعرضت لها المكتبة تقف أبية برصيدها العلمي الثري، وقد كلفت حكومة المغرب المهندس الكندي أ. عزيزيا تشاهوني، المغربي مولدًا، بترميم هذه المكتبة التاريخية وإحياء مجدها وألقها من جديد.

المكتبات الأموية في دمشق:

لم يكن الدمشقيون على الجاهلية والأمية بل كانوا على اتصال وطيد مع اليونانيين، مما جعلهم مثقفين ناضجي الفكر والوعي، فلما قدم معاوية بن أبي سفيان إلى الشام ليكون واليًا عليها، انتبه إلى كنوز المعرفة التي يمتلكها الدمشقيون، بل وجد في بيوتهم مكتبات وكتبا تفيض بالعلم والمعرفة، وكان لمعاوية مكتبة خاصة في قصره الشهير قصر الخضراء، وكانت فيها صالات مخصصة للمناظرة والنقاش إلا أنها كانت مفتوحة لفئة معينة، فنكهة دمشق كانت تفوح بالعلم والعلماء، وكما عرف عن خالد بن يزيد بن معاوية أمير دمشق الذي خسر الخلافة وخلدته الريادة العلمية أنه كان يجمع الكتب إلى جانب ما كان يتدرب عليها من اللغات المختلفة من السريانية واليونانية، وكان بعيدًا عن السياسة، فاعتكف في محراب الكتب، يقرأ ويكتب، وله إسهامات قيمة في فنون مختلفة من أهمها الطب والكيمياء والشعر والأدب. ويلاحظ هنا أنه ما كان لدى العرب رسائل تهتم بالكيمياء إلا التي كانت حبلى بالخرافات والأساطير، وتحدث عنه المؤرخ الكبير ابن كثير "كان خالد بن يزيد أعلم قريش بفنون العلم، وله يد طولى في الطب، وكلام كثير في الكيمياء، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطقيا"، فرغم اهتمام الحكام والرعايا بجمع الكتب واقتنائها لم تكن للدولة الأموية مكتبات عامة تذكر، وكان أكثر المكتبات خاصة، وذلك في القصر أو في بيوت العلماء، حتى جاءت الدولة العباسية لترث عن الأموية الشغف والوله بالكتب وتؤسس حضارة علمية تنافس الحضارات العالمية.

مكتبة بيت الحكمة نبض العصر الذهبي:

الخلافة العباسية كما لا يخفى أسهمت إسهامات كبيرة في إثراء الحضارة الإسلامية، وتألقت وتبلورت في رعاية العلوم والفنون، وكانت العصر الذهبي للحضارة الإسلامية لولا تلك الهجمات التترية التي دمرت الدنيا وخربتها، وطالت بقسوتها وجورها العواصم الإسلامية المعمورة. وأما مكتبة بيت الحكمة فهي واحدة من أبرز إسهامات الخلافة العباسية، وهي المحرك المبكر للحضارة الإسلامية، أسسها الخليفة هارون الرشيد وعمرها نجله المأمون، ليكون عصره العصر الذهبي للمكتبة، وكانت المكتبة ملتقى العلماء ومركز البحث العلمي، وفد إليها كبار العلماء من جهات نائية، ضمتهم المكتبة لتلقيح الأفكار المتنوعة، وكانت أكثر من مكتبة، بل هي مؤسسة علم وفكر، فيها تراجمة يترجمون الكتب العجمية إلى العربية، ومراكز مخصصة للتأليف والنسخ والتجليد، كما فيها مراصد النجوم، وكان أبو جعفر المنصور الطاقة المولدة لهذا المشروع العلمي. اشتهر برعايته العلماء من المسلمين وغيرهم، وكان يقتني الكتب والمخطوطات النادرة في المكتبة البسيطة في بلاطه، وكان يستدعي علماء الهند وفارس ليشاركوا خبراتهم العلمية في الهيئة والفلك، فلا شك إذن أن بيت الحكمة بألقها وبريقها كانت امتدادًا لخزانة الكتب التي اهتم بها الخليفة أبو جعفر المنصور، ليكون هارون ونجله المأمون موسعي فكرة جدهم.

لكن لكل بداية نهاية، إذ تدهورت الأوضاع في نهاية الدولة العباسية بسبب ضعف خلفائها، وبالتحديد في عام ٦٥٦هـ، سقطت بغداد إثر هجمات المغول التي جاءت كالجراد المنتشر، وكان المغول يمسحون عن بغداد كل شيء سوى الموت، خربت ودمرت ليكون ماء دجلة بلون الدماء والحبر، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، ففي العصر الحديث وأثناء الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م تعرضت بيت الحكمة والمكتبات الملحقة بها وسائر المؤسسات العلمية لعملية تدمير وحرق ونهب ممنهجة.

مكتبة المدرسة المستنصرية:

يا أيها المنصور يا مالكا

برأيه صعب الليالي يهون

شيدت لله ورضوانه

أشرف بنيان يروق العيون

إيوان حسن وضعه مدهش

يحار في منظره الناظرون

هكذا وصف الفقيه أبو الفرج ابن الجوزي المدرسة المنصورية التي بناها الخليفة أبو جعفر المنصور على ضفاف نهر دجلة، والتي قال عنها المؤرخون إنها أول جامعة عربية في زمانها، تدرّس فيها علوم متنوعة، من فقه وصرف وفلسفة ومنطق. وقتها كانت أوروبا تغط في ظلام الجهل، وكانت المدرسة توفر كل الحرية للطلاب لاختيار موضوع الدرس وصاحب الدرس، وكانت مكتبة المدرسة زاخرة بأعداد ضخمة من المجلدات النفيسة والكتب النادرة التي بلغ عددها ٤٥٠ ألفا، وتعد مرجعًا للطلاب، كما قصدها الكثيرون من العلماء والفقهاء وترددوا عليها وأفادوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمن، وقد نقل الخليفة إليها نفائس الكتب من مختلف العلوم والمعارف بما يقدر بـ٨٠ ألف مجلد متعددة الأصناف.

مكتبات القاهرة، أكثر من مكتبة:

وكانت القاهرة شقيقة بغداد، بحضارتها وثقافتها، بعلمائها وأدبائها، بنيلها ورافديها، فحينما تدهورت الخلافة العباسية وسقطت العوالم الإسلامية وتمرغ مجدها وشرفها تحت سنابك الخيول المغولية ظلت القاهرة تعيد للأمة الإسلامية أنفاسها من جديد، فكأنه التقاء الرافدين بالنيل، بدءًا من الملوك الفاطميين ومرورًا بالزنكية وانتهاء بالأيوبية والأزهر، وكان للملوك الفاطميين دور كبير في إحياء التراث الإسلامي، إذ أسسوا مكتبات تضم في كنفها الكنوز الثمينة. ولنستمع إلى المؤرخ الإسلامي الكبير أبو شامة (٦٦٥هـ) في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية "إنها كانت من عجائب الدنيا، ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومئتان وعشرون نسخة بتاريخ الطبري، ويقال إنها كانت تحتوي على ألفيْ ألف وست مئة ألف كتاب".

من أبرز مكتبات القاهرة دار الحكمة التي بناها الحاكم بأمر الله عام ١٠٠٥م، ولأكثر من مائة عام تميزت بأنها مركز للتعلم والبحث والمحاضرات في شتى العناوين. يقول المؤرخ الكبير أحمد المقريزي: "إن دار الحكمة في القاهرة لم تفتح أبوابها للجماهير إلاّ بعد أن فُرشت وزُينت وزخرفت وعُلقت على جميع أبوابها ومراتها الستور، وعُين لها القوام والخدم، وكان عدد الخزائن فيها أربعين خزانة تتسع الواحدة منها لنحو ثمانية عشر ألف كتاب، وكانت الرفوف مفتوحة والكتب في متناول الجميع، ويستطيع الراغب أن يحصل على الكتاب الذي يريده بنفسه ما تيسر له ذلك، فإذا ضلّ الطريق استعان بأحد المناولين، فمن العلماء الذين كان لهم حضور فاعل في دار الحكمة عالم البصريات ابن الهيثم".

ومن أهم المكتبات في القاهرة مكتبة الجامع الأزهر التي ضمت أكثر من مائتي ألف مجلد، وكان الأزهر قبلة العلماء، يفدون إليه من شتى بقاع العالم الإسلامي شرقا وغربا، وكان يوفر السكن والتغذية للوافدين الدارسين هناك.

فمن تلك المكتبات التاريخية في القاهرة المكتبة المحمودية، أسسها جمال الدين مستشار السلطان ظاهر سيف الدين برقوق، وقد أشرف عليها العالم المحدث ابن حجر العسقلاني وأعد لها فهرسين تحت إشرافه.

مكتبات الأندلس:

الأندلس لها تاريخ طويل مع الكتب والمكتبات،

عندما أصبحت محطة العلماء والباحثين، فكان أهل الأندلس بكل طبقاتهم يحرصون على اقتناء الكتب، وكان حكامها مثقفين، كما نرى في سيرة المستنصر الذي وصف بأنه كان جماعًا للكتب، وكان يرسل المبعوثين إلى القاهرة ودمشق وبغداد والمدن الأخرى لشراء الكتب بأثمان غالية، وكان في مكتبته الخاصة أكثر من ٤٠٠ ألف مجلد، بل أنشأ فروعًا لمكتبته في العاصمة والمدن لتيسير الاطلاع على العلم، وهو الذي تولى رعاية مكتبة قرطبة التي كانت تعد من أكبر المكتبات في أوروبا، وكانت فيها لجان خاصة مكلفة بعدة أعمال، لجنة للتدقيق والمراجعة، ولجنة للنقل والترجمة، وكلها كانت بأيدٍ فتية ذات خبرة واسعة، وقد أشادت جل المصادر التي أرخت للأندلس بدور الحكام في الاهتمام بالكتب والمكتبات، ورعاية الحركة العلمية ورعاية طلاب العلم، كما كان للأوقاف دور هام في توفير التعليم للفقراء المحرومين من شراء الكتب واحتياجات الدراسة.

المكتبات في الهند، حكاية تاريخ ينافس الأندلس:

يقول الشيخ علي الطنطاوي: إن أكثرنا يجهل تاريخنا في الهند، وتاريخ الإسلام في الهند يعدل ربع التاريخ العام، ذلك أننا حكمنا هذه القارة الهندية نحواً من ألف سنة.

وللهند رصيد ثري في المكتبات الإسلامية وفي اقتناء المخطوطات العربية والأردية والفارسية، وقد تألق اسمها بمكتباتها الضخمة التي ما زالت تخدم الأمة. ولسلاطين المغول وقبلهم سلاطين دهلي الحظ الأوفر في بناء مجتمع قارئ واع، إذ كانوا شغوفين بالكتب والفنون، ومحبين للعلم والعلماء، ويجدر هنا ذكر السلطانة رضية الملقبة بعالم نواز، وهي أول امرأة تتربع على عرش مسلمي الهند، إذ كانت توفر كل التسهيلات والسبل للعلماء، وتمدهم بعطايا ثمينة، فمن أبرز السلاطين المغول الذين اهتموا بالكتب والكتاب، مؤسس السلطنة المغولية ظهير الدين بابر، وهو أول من أسس مكتبة في الهند، إذ كان من أصول أوزبكية، وأوزبكستان مشهورة بعواصمها العلمية من بخارى وسمرقند، وكان بلاطه معمورًا بذوي الخبرات العلمية.

ويعتبر عصر الملك شاهجان العصر الذهبي للمغول حضارة وإدارة، إذ كان رفيق العلماء والشعراء، وكان بلاطه ممتلئًا بذوي الخبرات والموهوبين، يقدم لهم هدايا قيمة شأن الخلافة الأموية والعباسية، وكانت مدينة لاهور وجونبور وأحمد آباد زاخرة بمدارس ومعاهد علمية.

إن المكتبة المغولية الإمبراطورية حبلى بأندر المؤلفات والمخطوطات التي تقف خير شاهد على خدمات سلاطين المغول للمعرفة والفنون، وفي زمن المغول كانت النساء أيضا تكتب وتقرأ، وتقرض الأشعار وتفهرس الكتب، فمن أسماء اللامعات سالم السلطانة بيغم (١٦١٢)، وغول بادان بيغم (١٦٠٣)، ونور جهان بيغم (١٦٤٥)، وممتاز محل (١٦٣١)، وتكاد تكون عنوانهن العالمة بنت السلطان أورنكزيب زيب النساء بيغم، التي تضلعت في العلوم الدينية، وقدم لها العلماء مؤلفاتهم، ولها تفسير "زيب التفاسير".

ولم تقتصر هذه التفاعلات العلمية في العاصمة دهلي فقط، بل كان لها صدى واسع في مناطق بلكرام ودارياباد ومرشداباد، وكانت مساجدها مملوءة بالكتب التي أهداها إليها العلماء.

ولا يخفى أن المعاهد العلمية والتفاعلات المعرفية وحركات العلماء هي التي تثبت على أن الممالك والإمبراطوريات إلى حد ما تهتم بالعلوم والثقافة، فللإمبراطوريات الإسلامية نصيب أوفر في هذا المجال، كانت ربة العلوم وحاضنة الفنون ليكون

العالم الإسلامي سباقا إلى التحضر والتقدم.

وفي جنوب الهند كان تيبو سلطان الذي بسط نفوذه في ميسور في ولاية كرنادكا، وكان في مكتبته الخاصة أكثر من ألفي كتاب، بعضها ألفه بنفسه والآخر اشتراه من أوروبا، فكل كتاب مختوم بسلطنة خداداد (السلطة الموهوبة من الله)، وبعض الكتب تم تجليدها بالجواهر والدرر ليكتشفها الإنجليز ويصدرونها إلى بلدهم أيام احتلالهم.

وفي ولاية رامبور الهندية كان لواليها محمد سعيد خان (١٨٤٠-١٨٥٥م) مكتبة خاصة تسمى بكتب خانة رياسة رامبور، وكانت ثرية بالكتب الفارسية والأردية والعربية، وهي زاخرة بالمخطوطات.

والمكتبة الأخرى التي ما زالت في خدمتها مع استخدام الآلات الحديثة هي مكتبة خدا بخش، التي بناها خدا بخش خان، وضمت في جوانحها ملايين الكتب وآلاف المخطوطات النادرة التي استقطبت كل عشاق الآثار العلمية واستوقفتهم ماضيا وحاضرا، فقصة خدا بخش ليست هي حكايات عن مكتبة احتفظت بالكتب، بل هي تعد ظاهرة علمية تاريخية.

وينبغي أن نذكر دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ومتحف سالار جنك ومؤسسة مولانا أبو الكلام آزاد بتونك راجستان الهندية للبحث العربي والفارسي، فكلها أمثلة لرعاية مسلمي الهند التراث العربي والإسلامي، وكلها قدمت خدمات جليلة في إخراج المخطوطات النادرة من الظلمات إلى النور.

المكتبات العثمانية، متحف طوب قابي

كان للسلطنة العثمانية اهتمام كبير باقتناء الكتب والمخطوطات، إذ كانت السلطنة التي سيطرت على معظم العواصم الإسلامية من بغداد ودمشق والقاهرة وإسطنبول والقدس، ويعد متحف طوب قابي الذي أنشأه من قبل السلطان محمد الفاتح من أبرز المراكز التي تضم نوادر المخطوطات العربية والإسلامية، وكان بمثابة المركز السياسي للإمبراطورية العثمانية بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر.

خزانة الكتب الحلبية

وهي المكتبة التي أنشأها سيف الدولة الحمداني بحلب، حيث أوقف فيها مجموعة من الكتب وأطلق عليها اسم خزانة الكتب. وقد وضعت في بناء مستقل، وقد اتخذ من المكتبة مكاناً لعقد الاجتماعات الدينية والمذهبية. وقد أحرقها الفاطميون ضمن ما أحرقوا في الدولة الحمدانية بعد استيلائهم على حلب، ويقال إنه كان بها عشرة آلاف مجلد عندما احترقت.

تمبكتو.. كنوز لم تكتشف

المدينة التي أطلق عليها البعض جوهرة الصحراء، وأكبر المدن الإسلامية في الساحل الإفريقي وقت أن كانت أوروبا في ظلام الجهل، متحضرة بعلمائها الذين أناروا ليل الصحراء الطويل. مليئة حكاياتها بالأسطورة ككل المدن التي كانت عامرة زمانا ثم انهارت، لكن لم تفقد سحرها حتى هذه اللحظة، مدينة كانت محج العلماء من المغرب والأندلس وبلاد شنقيط. وتقدر المخطوطات في تمبكتو بأكثر من سبعمائة ألف مخطوطة، ومعظمها بحوزة بعض العائلات، وفي كتابه مهربو كتب تمبكتو يسرد الصحفي تشارلي إنغلش سردًا هو أشبه بالرواية عن مهماته لإنقاذ الكتب والمخطوطات.

وهذا غيض من فيض، فكل بقعة وطأتها قدم مسلم ازدهرت علمًا ونورًا، فلا يخفى على الباحث في طيات التاريخ دور الإسلام في ترسيخ حضارة عظيمة.

حث الإسلام على الزراعة ومظاهر اهتمام المسلمين الأوائل بها

د. أحمد عبد الحميد عبد الحق ـ مصر

تعدّ مهنة الزراعة من المهن اللازمة لحياة البشرية، وقد وجدت بوجودها، فعندما خلق الله عز وجل آدم ونفخ فيه من روحه ثم خلق منه زوجه أسكنه جنة الأرض التي نبت فيها كل ما يحتاجان إليه من الزروع، ثم أباح لهما أن يأكلا من نتاجها إلا شجرة الاختبار، فقال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥).

وبعد خروجه أو هبوطه منها كان عليه أن يستنبت الأرض، ويخرج منها ما يحتاج إليه من كدِّه وعرقه؛ حتى يستطيع أن يعيش وأن يؤدي رسالة التعمير التي خُلق من أجلها، تلك العبادة التي مُيز بها على الملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١) أي جعلكم عمارًا لها.

ولذلك لا يمكن أن تحيا أمة بدون الزراعة، ولا تستطيع أن تستغني عنها مهما بلغت من الرقي والتمدين. وقد ورد في القرآن الكريم بعضُ

الآيات التي تلفت انتباه الناس إلى ذلك: منها قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ (يس: ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾) النحل: ١٠) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ... الآية﴾ (الأنعام: ٩٩).

وتلك الآيات السابقات تبين أن الإنبات أو إخراج الزرع بأمر الله سبحانه وتعالى، ولكن بكد وسعي من الإنسان ﴿ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم﴾ لا كما يحسب المتواكلون المتقاعسون عن العمل، ولا كما يفهم الماديون الذين يحسبون أن رزق الأرض ينتج بسعيهم فقط.

ومن أجل ذلك أمر الله - سبحانه وتعالى - البشر بالسَّعي والتنقيب في الأرض؛ لإخراج ما فيها من خيرات عن طريق الزراعة وغيرها؛ فقال - عزَّ وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

وشجع صلى الله عليه وسلم الناس على استصلاح الأراضي وتهيئتها للزراعة بإباحة تملكها فقال: ﴿من أحيا أرضًا مواتًا فهي له﴾ شريطة ألا تكون ملكًا لأحد.

ونهى - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن ترك الأرض بورًا دون زرع، فقال: ﴿من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإنْ أَبَى فليمسك أرضه﴾.

وبيَّن - صلى الله عليه وسلم - أنَّ الزارع لا يجني ثمارَ عمله في الدُّنيا فقط، وإنَّما زراعته وسيلة تقربُ إلى الله، كما يتقرب الغني بماله، فقال: ﴿ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة؛ إلاَّ كان له به صدقة﴾، وحذر من التهاون في أمر الزراعة بقوله: ﴿إنْ قامت السَّاعة وفي يد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقومَ حتَّى يغرسها فليغرسها؛ فله بذلك أجر﴾.

فالإنتاج في التوجيه النبوي لا ينبغي أن ينقطعَ، والعمل ينبغي ألا يتوقف، حتَّى ولو بسبب اليأس من النَّتيجة؛ أي: قبل قيام الساعة بلحظة حين لا يستفيد بثمرة الزرع أحد.

كما وضَّح رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّ العمل في الزراعة قد يكون مكفرًا للذنوب، فقال: ﴿مَن بات كالاًّ من عمل يده أمسى مغفورًا له﴾ وإنَّ من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها إلاَّ السَّعي في طلب الرزق.

ولما كانت الزراعة عرضة للإصابة بالآفات؛ ممَّا يجعل الناس يحجمون عنها إلى غيرها، كما يحدث في بعض المجتمعات الإسلاميَّة الآن، وجدنا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يُواسي من يصاب بذلك، ويَحثُّه على البقاء في عمله؛ حتَّى لا تختل أوضاع المجتمع، فقال: ﴿ما من شيء يصيب زرعَ أحدكم من العوافي، إلاَّ يكتب له به أجر﴾.

وقال: ﴿ما من مسلم يغرس غرسًا إلَّا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرِقَ منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلَت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة﴾.

وجاء في الأثر: أنَّ الفرس اهتموا بحفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا البلاد، فعُمِّروا الأعمار الطوال، رغم ما كان فيهم، فسأل الله نبي من أنبياء زمانهم عن سبب تعميرهم، فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي.

وكان لتلك الأحاديث، وهذه الآثار التي حثَّت على الزراعة أثر كبير في اتِّخاذ كافة التدابير نحو الاهتمام بالزراعة، اهتمامًا كَفَلَ لهم توسيع مجالات الرزق، وتحسين الوضع الاقتصادي، خاصَّة أنَّ المنتجات الزراعية هي المصدر الأول للمواد الغذائية التي يعتمد عليها الناس في معاشهم، كما أنَّها تقدم أهم المواد الأولية في الصناعة، فالقطن والكتان من أهمِّ المواد في المنسوجات التي يلبسها الناس، والأخشاب ضرورية للبناء، ولصنع كثير من الأثاث، ثم إن كثيرًا من الأصباغ والعطور والأدوية تعتمد على المنتجات الزراعية.

كما أنها مما يضمن للإنسان طعامه، ويتحمَّل إصره، ويتكفَّل عبئه؛ لسد رمقه، وأن الأمة مهما تقدَّمت في الإنتاج الصناعي، وعظُم شأنها، فكثر مالُها وتضاعف يسارها، لا تزال تبقى عالةً على غيرها إذا لم تكفُل أرضُ بلادِها قُوتَها، كما تظل مجحفة الجوع، دائمة الخضوع لأعدائها.

مظاهر اهتمام المسلمين الأوائل بالزراعة:

وفهم الصحابة والمسلمون الأوائل ذلك - وكانوا خير سلف - فانطلقوا مطبقين تعاليم الإسلام، التي تحث على الزراعة، رغم مشاغل بعضهم الجسيمة واستغنائهم، فهذا عثمان بن عفَّان - رضي الله عنه - يقول وقد سُئل: أتغرس بعد الكبر؟ فقال: "لأن توافيني الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافيني وأنا من المفسدين" وتلك لفتة طيبة منه أن يجعل العمل إصلاحًا وتركه إفسادًا.

وقيل لأبي الدرداء وهو يغرس جوزة: أتغرس وأنت شيخ، ولا تُطعم إلا بعد عشرين سنة؟ فقال: "لا عليَّ بعد أن يكون الأجر لي".

وهذا عبد الرحمن بن عوف ـ رغم غناه ـ كان يمسك المسحاة بيده، ويُحوِّل بها الماء، وطلحة بن عبيد الله كان أول من زرع القمح في مزرعته بالمدينة، وكان يزرع على عشرين ناضحًا، وينتج ما يكفي أهله بالمدينة سنتهم، حتى استغنوا عمَّا يستورد من بلاد الشام.

وكان أبو هريرة يرى المروءة في تلك الأفعال، فقد سئل مرة: ما المروءة، فقال: "تقوى الله وإصلاح الضيعة" (أي قطعة الأرض المعدة للزرع).

ويُؤسفني ويؤسف كل قارئ لهذه الأحاديث والآثار أن يرى الشباب المسلم يتخلى يومًا بعد يوم عن الزراعة، ويلهث وراء الأعمال الأخرى، التي لا تُجدي مع مجتمعنا شيئًا، وصار الفرق شاسعًا بين ما كانت تنتجه مجتمعاتنا في القديم، وما تنتجه الآن، وصار جُلُّ أقوات المسلمين في أيدي غيرهم، ولم ينفع كثيرًا إنشاء المؤسسات الزراعية ولا البحوث التقنية.

دور الأمراء المسلمين في نهضة الزراعة عند المسلمين:

وازداد اهتمام المسلمين بالزِّراعة بعد أن اتَّسعت رقعة الدولة الإسلامية واستقرت أمورها، ويسروا كلَّ السُّبل لامتلاك الأراضي وتعميرها وزرعها؛ عملاً بوصية الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن أحيا أرضًا ميتة فهي له"، وأضحى الاهتمام بالزراعة من واجب الأمراء والحكام، وليس الأفراد فحسب؛ وذلك لأنَّ هؤلاء الأمراء كانوا يدركون تمامًا العلاقة بين الازدهار الزراعي وزيادة الخراج الذي يعد أهم مصادر بيت المال، كما كانوا يدركون تماما العلاقة القوية بين حالة الزرع وبين الوارد.

واهتموا بإصلاح وسائل الري وتنظيفها، وبنوا السدود وشقوا القنوات والأنهار التي لا يُحصى عددها؛ لدرجة أن مدينة كالبصرة وحدَها كان بها ما يزيد على مائة ألف نهر، يجري في جميعها السميرات (المراكب) ولكل نهر منها اسم ينسب

إلى صاحبه أو الناحية التي صب فيها الماء، وأقاموا الجسور والقناطر، كما أقاموا السُّكُورَ على الأنهار للتحكم في كمية المياه.

وبذلوا في سبيل ذلك أموالاً طائلة، واستخدموا لها عددًا كبيرًا من العمال، حتى ذُكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي أراد أن يستكملَ نهر سعد في نواحي الأنبار، وكان دهاقينها قد سألوا سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ من قبل أن يحفره لهم، فجمع الرجال لذلك، فحفروا حتى انتهوا إلى جبل، فلم يُمكنهم شقه وتركوه ، فلما ولي الحجاج وكانت موارد الدولة قد زادت وتحسنت جمع - أي: الحجاج - الفعلة، وقال لقُوَّامه: "انظروا إلى قيمة ما يأكل الرجل من الحفَّارين في اليوم، فإن كان وزنه مثل ما يقلع، فلا تمتنعوا عن الحفر، وأنفقوا عليه حتى استتموه".

إضافةً إلى ذلك، فقد أقام المسلمون شبكة من القنوات والمجاري الظاهرة فوق الأرض أو الجوفيَّة، التي حفرت تحت الأرض بطريقة هندسية محكمة الإتقان.

وما تزال تلك الأعمال تثير إعجابَ مُهندسي المياه في عصرنا الحديث، فهذا أحد المهندسين الأوروبيين الذي زار العراقَ إبَّان الانتداب البريطاني يقول: "إنَّ عمل الخلفاء في ري الفرات يشبه أعمال الري في مصر والولايات المتحدة الآن".

وبذلوا جهودًا كبيرة لتجفيف البطائح والمستنقعات، وعملوا على إزالة الأملاح التي تهدد بإفساد المزارع، وتحويل الأرض إلى سباخ بقشط الطبقة الملحية من على وجه الأرض وجمع الأملاح، أو بزراعة بعض النباتات التي تقاوم الملح كالحب والشعير، وزرعوا كل نوع من النبات في التربة الصَّالحة له بعد أن درسوا صلاحية كل تربة ومناسبتها لأنواع النبات المختلف.

وحرصوا على ألا يبور أيُّ جزء من الأرض الصالحة للزراعة، ليس هذا فقط؛ بل عمدوا إلى "المرتفعات والسفوح والجبال التي ما كان أحد يظن أنه يُمكن الاستفادة منها في الزراعة؛ لجفافها الدائم، فعمَّروها، وأنشؤوا عددًا من الطرق، وعنوا بصيانتها، وأقاموا الجسور حول الأنهار لمنع فيضانها، حتى كان الأمراء والقواد يقومون بالإشراف عليها بأنفسهم.

كما عرفوا تأثير المناخ على النباتات، ففي كتاب "فرائد الملاحة" يقول مؤلفه عن البنفسج: "والضباب إذا دام عليه يومًا وليلة، دبله فالبرد الشديد يفسده فسادًا لا صلاح بعده، والرعد المتتابع يُوهنه، ووقوع الدخان ربَّما أفسده".

وعرفوا بعض الطرق المساعدة على سرعة نمو النبات مثلما يعرف الآن بالمحصبات، يقول ابن وحشية: "إن خير وسيلة للإسراع بنموها هو أن تغمس البذور أو أطراف الأقلام في الزيت"، وبحثوا في طبيعة الأراضي وتكوين التربة.

ونظروا في كيفية تكوين الأمطار وأهمية الرياح لسيرها، وفائدة الجبال وأثرها في توزيع الأمطار على شتى مناحي الكرة الأرضية، واعتنوا بتسميد الأراضي عناية كبيرة، بعد أن عرفوا السماد الصالح لكل نوع من النبات، فزاد مَحصول الأرض تبعا لذلك زيادة واضحة، وعرفوا التلقيح، وكذلك عرفوا نظام التطعيم لبعض الأشجار، واستخرجوا أصنافًا جديدة.

تقدير الأمراء المسلمين للفلاح ودوره:

وأهم من ذلك كله أن أمراءهم حاولوا قدر الإمكان رفع العبء عن الزارع؛ حيث رفضوا جباية الخراج على الأراضي إلا بعد مسحها؛ إحقاقًا للعدل، وأن يُراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك ولا إجحاف بزارع، وحرصوا على تأمينهم أوقات الحروب حتى

ولو كانوا من غير رعيتهم، فهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول: "اتقوا الله في الفلاحين، لا تقتلوهم إلا أن ينصبوا لكم الحرب".

وهذا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يكتب إلى عامله "عبدالملك بن عمير": "لا تضربن رجلاً سوطًا في جباية درهم، ولا تبيعن لهم رزقًا، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة... ولا تقيمن رجلاً في طلب درهم"، فقال عبدالملك: "يا أمير المؤمنين، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك، فقال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك! إنَّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو" أي ما بقي أو زاد عن حاجتهم بعد غناهم.

وهذا زياد ابن أبيه يكتب إلى بعض عماله أن أحسنوا إلى الفلاحين، فإنكم لا تزالون سمانا ما سمنوا، ولما ماطل بعض الفلاحين أو أصحاب الأراضي في سدادِ الخراج في عهد العباسيين، وأراد بعض الأمراء تعذيبهم حتى يجبروهم على سداده، شاور الخليفة المهدي الفقيه محمد بن مسلم، فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا موقف له ما بعده وهم غرماء المسلمين، فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء... فتقدم إلى أبي عبيد الكاتب بالكتاب إلى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج.

وكان كثير من أمراء المسلمين فيما بعد يسلفون الفلاحين؛ لينفقوا على زروعهم دون مقابل؛ تشجيعا لهم على الزراعة.

كما كان الأمراء يوصون الجند الذين يذهبون للجهاد بعدم التعرض للفلاحين أيا كانت ديانتهم، فهذا أحد الخلفاء العباسيين ينصح قائده أثناء سيره بالجيش: "أن يمنع الجند أن يتخطوا الزُروع (أي يسيرون فيه أثناء زحفهم) وأن يطأها أحد منهم بدابته، ويَجعلها طريقه في مقصده، وألا يأخذوا من أهلها الأتبان إلا بأثمان ورضا أصحابها".

وبذلك وجد العامل أو الزارع تحت ظل الإسلام الدوافع التي تحثه على العمل بنفس راضية مطمئنة، وأحس أنه يجني ثمار عمله لنفسه بعد أن كان في ظل الدول السابقة – كالدولة الرومية والفارسية مثلاً – يعد من توابع العقار، فينتقل العقار من مالك إلى آخر، وفلاحوه معه يسمونهم الأقنان – جمع قنّ.

وضرب المسلمون بتلك الجهود مثلا رائعا في المهارة الزراعية، حتى قال بعض المستشرقين: "إنهم أول من نظم ممارستها بقوانين، وإنهم لم يقتصروا على العناية بالمزروعات... وإنما اعتنوا عناية فائقة بتربية القطعان، وخاصة الأغنام والخيل، وإن أوروبا لتدين لهم بإدخال التجارب الكُبرى، وجميع أنواع الفواكه الممتازة".

وكان من نتيجة هذا الاهتمام وتلك الجهود "أن نَمت الأراضي والثروة الزراعية على طول امتداد العالم الإسلامي، من أواسط آسيا شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا؛ بحيث لا يقع البصر فيها إلا على خضرة يتصل لونها بلون السماء الأزرق".

وأنتج المسلمون بذلك كل ما يحتاجونه حتى قال أحد من أرخوا للحضارة: "لم أسمع أن المسلمين في شتى الأرجاء كانوا يستوردون سلعًا غذائية من خارج أقطار الوطن الإسلامي".

ونقلوا هذا الازدهار الزراعي إلى كل قطر فتحوه أو نزلوا به. يقول شكيب أرسلان: "فإن هؤلاء القوم لم يحلوا في مكان إلا طبقوا الأراضي بالعمل... وشقوا تحتها الجنان".

واعتقدوا أن بلادنا الآن قادرة على أن تعود سيرتها الأولى في هذا المجال، وأن حكامها قادرون على أن يحذوا حذو أسلافهم فيه إذا وجدت الإرادة.

الإسلام دين السلام الاجتماعي

بقلم: د. إبراهيم نويري ـ كاتب وباحث أكاديمي ـ الجزائر

مما لا شكّ فيه أنّ الشعور بالأمن والسلام والهناء والطمأنينة، يُعدّ شرطاً من شروط الاستقرار الذي يَعُدّه العلماء العامل الأول لبناء الحضارة وإرساء قواعد التقدم الإنساني. أما التنازع، فلا مناص من أنه يفضي إلى إرباك وزعزعة السلام والاطمئنان، والعصف - من ثمة - بمرتكزات الاستقرار الاجتماعي الذي يُعتبر العامل الحيوي لازدهار ونمو وتطور المجتمعات الإنسانية.

وعليه يصحّ أن نجزم بأن المختلفين اختلاف التعادي والتباغض والافتراق إنما يرتكبون جريرةً فادحةً في حق الأمن والسلام والوفاق والتعاون... ونحن عند التأمل نجد أن الإسلام نفسه مشتق من دلالة لفظة: "السلم" و"السلام" و"السلامة".

بل إن السلام هو أحد أسماء الله الحسنى، ودار السلام كما ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم هي جنة الخلد وفردوس النعيم التي يُجزى بها المؤمنون لقاء إيمانهم الصحيح وأعمالهم الصالحة. قال الله تعالى: "لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" (الأنعام ١٢٧).

ومن المقطوع به أن تعاليم الإسلام تهيئ المسلم منذ مراحل التنشئة الأولى لتوقير وإجلال هذه القيم الجليلة، فتزرع في وجدانه وتطبع في سلوكه نزوعاً تلقائياً إلى السلام والسلم والمسالمة والمعايشة. حتى إنّ كلمة السلام ومشتقاتها ذُكرت في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، حين لم تُذكر كلمة الحرب ومشتقاتها سوى في ستّ آيات فحسب!

إن السلام قيمة إسلامية، والمسلم الحق ينشد بفطرته الصافية وأصل تكوينه السلام ويتعبد في صلاته بالسلام ويُشيع السلام فيما حوله؛ وقد بلغ الأمر بالإسلام ـ حرصاً على تثبيت هذه القيمة ـ أن دعا أتباعه وأرشدهم إلى عدم تمني لقاء العدو، لكن مع ضرورة التشبّث بالصبر وبذل الوسع في المغالبة والإصرار على النصر في حال اللقاء.

وذلك من باب التشديد والرغبة في إرساء دعائم السلم والسلام، كما أن الإسلام قد جعل قاعدة التواصل والدعوة والنّصح هي الأصل في العلاقة مع المخالفين؛ حتى إن قارئ السيرة النبوية الشريفة تُلفت انتباهه بقوة خصال وخلال الرقّة والمسامحة ولين الجانب والعفو والحرص على توطيد روح السلم والمؤاخاة والنأي حتى عن الألفاظ والأسماء والصفات التي توحي بنقيض تلك الخِلال والشمائل الإنسانية النبيلة الرقيقة.

ومن ذلك - على سبيل المثال - أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يكره مجرد كلمة "حرب" ولا يحب سماعها، ولقد علّم أصحابه قائلا: أَحَبُّ الأسماء إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن، وأصدق الأسماء: حارث وهمام، وأقبح الأسماء: حرب ومُرّة... وكان العرب في الجاهلية يسمون أبناءهم "حربا" و"مرة"، فكره للمسلمين أن يُسموا أبناءهم بذلك، حتى لا يتعودوا سماع كلمة "حرب" أو ما يقوم مقامها من كلمات وألفاظ، وكفى بهذا حرصاً من الإسلام على السلام والأمن والطمأنينة وحب الاستقرار.

فهذا الدين الخالد يقرّ بأن تحقّق السلم الاجتماعي شرطٌ رئيسٌ وعاملٌ حاسمٌ لتوفير الأمن والطمأنينة في النسيج المجتمعي، وتعليل ذلك أنه إذا فُقدت حالة السلم والوئام الداخليْن أو ضَعُفت إلى حدود بعيدة أو ملحوظة؛ فإن النتيجة الطبيعية لذلك تدهور التماسك العام في المجتمع، فتسود تبعاً لذلك حالة الخصام والصراع، وفي ذلك خطرٌ ماحقٌ على المصالح العليا للوطن وسلامة الدين ومصالح العباد.

فلنحافظ على سلامة واستقرار أوطاننا، ولنتشبّث بالوَحدة والتآزر والتكافل والتعاون، كي نجني ثمار الازدهار والتقدم والتنمية.

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE